الوراقة والوراقين
عصر سلاطين المماليك
دراسة حضارية

دكتور/ محمد سالم عباس الصعيدي
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
في كلية اللغة العربية بالمنصورة

الوراقة والوراقين عصر سلاطين المماليك دراسة حضارية.

محمد سالم عباس الصعيدي.
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية بالمنصورة- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: mohammedalseidy.32@azhar.edu.eg

ملخص: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فهذا بحث يتناول الحديث عن مهنة الوراقة وما يتعلق بها في فترة من أهم فترات التاريخ المصري الا وهي عصر سلاطين المماليك، وقد تعرض البحث لتعريف الوراقة ومفرداتها من الناحية اللغوية والناحية الاصطلاحية مع تعرض الباحث لنبذة عن تلك المهنة في فترة ما قبيل عصر المماليك، ثم الحديث عن الوراقة وما يتعلق بها من نسخ وتجليد وصحف وأقلام، وكذا الوراقين، وما يتصل بهم من دلالين ونساخ وحوانيت وأسواق، وارتباط تلك الأسواق غالبا بأماكن الدرس والفكر كشمال القاهرة الفاطمية، حيث الجامع الأزهر أكبر وأعرق جامعة علمية عرفها التاريخ، وكذا جامع عمرو وغيرهما من المدارس والخوانك والمؤسسات الفكرية والحضارية، كما اشار الباحث لبعض الوراقين الذين آثروا الحياة الفكرية والحضارية في مصر المملوكية.

الكلمات المفتاحية: ورق- وراقة- وراقون- مملوكي- مماليك – سلاطين- قلاوون- الأزهر- مكتبات.

Al-Waraqah and Al-Warqin, the era of the Mamluk sultans, a civilized study.

Mohammed Salem Abbas Al-Saeedi.
Lecturer of history and Islamic civilization at the Faculty of Arabic Language in Mansoura - Al-Azhar University - Egypt.
Email: mohammedalseidy.32@azhar.edu.eg

Abstract: This research deals with talking about the profession of genetics and related to it in one of the most important periods of Egyptian history, namely the era of the Mamluk sultans. On the genealogy and related to it in terms of copies, binding, newspapers and pens, as well as the papers, and the related bookmarks, copies, shops and markets, and the connection of these markets often with places of study and thought such as northern Fatimid Cairo, where the Al-Azhar Mosque is the largest and most ancient scientific university known to history, as well as the Amr Mosque and other schools And the Khwank and the intellectual and cultural institutions, as the researcher pointed out to some of the Warraqin who favored the intellectual and cultural life in Mamluk Egypt.

Key words: paper, paper, Raqoon, Mamluk, Mamluk, Sultans, Qalawun, Al-Azhar, libraries

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ

وبعد ؛؛؛

فإن من أفضل النعم والمنن التى أختص الله بها تلك الأمة المحمدية، والتى تعتبر من شروط خيريتها، هي نعمة العلم والفكر، وملكة القراءة والكتابة، فمن أولى الآيات التى نزلت علي قلب رسولنا – ﷺ – أقرأ، وقوله سبحانه، "**ن والقلم وما يسطرون**"(١).

وقد وردت مادة كتب في كتاب الله في أكثر من موضع، تأكيداً على أهمية الكتابة ودورها في تدوين العلوم والفنون، والمكاتبات والمراسلات، وكأحد أهم الوسائل للتعبير عن التحضر والرقى والفكر الإنساني .

من ذلك قول الله تعالى "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا**"(٢)

وغيرها من الآيات التى تبين شرف الكتابة والتدوين، ولما كانت الحاجة إلى الكتابة والتدوين ملحة وضرورية ، لحاجة الدولة الإسلامية إليها، فلم تعد الدولة الإسلامية تلك البقعة الجغرافية التى تشتمل على شبة جزيرة العرب، ولم تعد حضارة العرب قاصرة علي بعض معلقات الشعر، أو بعض المفاخرات والمساجلات، بل أصبحت دولة ذات كيان سياسي، وفكري وثقافي، ولم تعد تكفيها مجرد وريقات أو حافظات مأخوذة من جلود الحيوانات، أو بعض العظام أو عسيب النخل أو حتي ما يتم جلبه من مصر من ورق البردي، وعليه فقد أصبحت الحاجة ملحة لعنصر سريع ومتوفر، لكتابة ما يلزم وتدوين ما تحتاج إليه الدولة من مراسلات وعهود، ومكاتبات، ومواثيق، بجانب تدوين العلوم والفنون والمعارف المتنوعة والمتعددة .

---

١ القلم آية ١–٢ .

٢ البقرة : البقرة آية ٢٨٢

ومن هذا المنطلق كانت مهنة الوراقة وأحدة من آجل وأعظم المهن وأرفعها في الدولة الإسلامية، لتعلقها بالكتابة والتدوين، والنساخ وإلى ما غير ذلك.

الوراقة والوراقون ومدلولها اللغوي والاصطلاحي

الوراقة في اللغة: تعنى العديد من المعاني ولها العديد من المدلولات، منها؛ الدراهم الخالصة، والورق الدم الذى يسقط من الجراح[١] والورق يعني المال وأورقت الشجرة أي أخضرت وكثر ورقها، كما أن الورق اسم يطلق على الشجر، والمال والغنم يقال له: ورق[٢].

ويقال ورق فلان: أي اشتغل بهنة نسخ الكتب، وقيل كذلك الورق الأدم الرقاق ومفرده ورقه[٣].

والوراقة: كلمه لها مدلولها اللغوي وهي تعني، الإشارة إلي كل ما يتعلق بصنعة الورق، حيث تشير إلى الصانع والتاجر والكاتب، والناسخ، والمجلد، وخازن المكتبة، كل هؤلاء يطلق عليهم عند أهل اللغة وراقين[٤].

---

١ الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م):، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ٢٢١/٩

٢ الصحاري سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبد الكريم خليفة – د. نصرت عبد الرحمن – د. صلاح جرار – د. محمد حسن عواد – د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م : ٥٢٦/٤

٣ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] : المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٥٥٦/٦ .

٤ (رينهارت)، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ) : تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، لناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م ، ١١/ ٥٦ ، مادة ورق .

ويشترط في الوراق كما قرر أهل اللغة، أن يكون على دراية بأنواع الورق؛ وأصنافها وأنواعها؛ وما يتعلق بها[١]

وفي بعض المعاجم الحديثة قام بعضهم بتعريف الورق على هذا النحو:

رقائق يُكتب عليها وتُستعمل في حاجات أخرى كثيرة، وتُصْنَع من الأنسجة أو الأخشاب أو موادّ أخرى بعد أن تُحوَّل إلى عجينة ليّنة " كما أنها تطلق علي النقود والوثائق[٢].

ومن خلال هذا العرض اللغوي لكلمتي ورق ووراقة ومعهما وراقه، كلمات لها مدلولها اللغوي المتعلقة بالكثرة، وكذا نسخ الكتب وبيعها وكتابتها وتجليدها.

أي إنه يمكن القول: بأن تلك المهنة تختص بكل ما يتعلق بالوان الكتب وفنونها، ولا تقتصر فقط على مجرد بيع الكتب أو كتابتها.

هذا ما يتعلق باللفظ من ناحية أهل اللغة، فماذا عن أهل الاصطلاح؟

الوراقة في الاصطلاح:

لم يحدد القدامى ولا المحدثين مصطلحا محدداً لمدلول مصطلح الوراقة، وإن كان جلهم يدور تناولهم حول ارتباط تلك المهنة بالكتاب وما يتعلق به.

فمن ذلك قول بعضهم "الوراقة بفتح الواو وتشديد الراء وفي آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق هو الكاغد ببغداد"[٣].

---

١ أحمد رضا : معجم متن اللغة، لناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ٧٤٢/٥ .

٢ أحمد مختار وآخرون : معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٢٤٢٦/٣ ، مادة ورق

٣ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ/١١٦٧م): الأنساب، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م : ٥٨٤/٥.

وذكر ابن خلدون: "الورّاقين الّذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها"[١]

إذا فمن خلال تعريف ابن خلدون، يتضح أن الوراقة لا تقتصر على الكتابة بل تتعداها إلى التجليد والتصحيح .

وقد أطلقها القلقشندي على الكاتب، فجعلها بمعني واحد فقال: وسمي الرجل الذى يكتب وراقاً [٢] أما ابن حجر ففرق بين الناسخ وصانع الورق فقال: "الورّاق: هو عندهم الناسخ؛ فأما عمل الورق وبيعه فيقال فيه: الكاغدي"[٣]

وقال البدر العيني: الوراق من ينسخ الكتب ويقال كذلك لمن يبيعها[٤]

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن مهنة الوراقة تدور حول عدة محاور:

١- النسخ ومتعلقاته

٢- البيع ومتعلقاته

٣- التجليد[٥]

---

١ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ بن خلدون)، المحقق: خليل شحادة
الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م،/٥٠٣.

٢ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،٥١٦/٢

٣ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، راجعة: علي محمد البجاوي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٨٠/٤

٤ مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، ٤٧٥/٣

٥ خير الله سعيد : موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية، دار الانتشار، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م ، جـ١/ ٢٥٩

وأقصد بالنسخ [١] الكتابة، وما يتعلق بالكتابة من فن الخط بأنواعه، ثم التزويق والتزيين والتذهيب وغير ذلك من الفنون المتعلقة بالكتابة .

أما البيع فيقصد به بيع الورق، والأقلام، والكتب وغير ذلك من متعلقات الورق والكتابة وغيرها. وأما التجليد فمعروف، وعليه فإن تلك المهنة من خلال ما تقدم، يمكن القول: إن تلك المهنة تتعلق بالكتاب والنساخ والبائعين والمجلدين والمزوقين وغير ذلك، فالوراق لفظ ومصطلح لكل ما يتعلق بالكتابة والنسخ.[٢]

وسيكون الحديث منصبا على عدة مباحث منها:

- المحور الأول: الحركة السياسية والفكرية ودورها في رواج مهنة الوراقة
- المحور الثاني: الوراقة الوراقين في العصر المماليكي.
- المحور الثالث: نماذج لبعض الوراقين ودورهم الحضاري.

ولكن قبل الحديث عن هذين المحورين لابد من القاء الضوء سريعا علة نشأة هذا الفن ووجوده قبل العصر المماليكي.

---

١ نسخ الشيء ينسخه نسخا وانتسخه واستنسخه: اكتتبه عن معارضه. التهذيب: النسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفا بحرف، والأصل نسخة، والمكتوب عنه نسخة لأنه قام مقامه، والكاتب ناسخ ومنتسخ. والاستنساخ: كتب كتاب من كتاب؛ وفي التنزيل: إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون؛ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله. ابن منظور: لسان العرب، جـ٣/٦١.

٢ رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ١١/٥٦.

التمـــهيد

نبذة تاريخية عن فن الوراقة قبل العصر المماليكي

لـم يكـن لأمـة العـرب شـأن يـذكر قبـل مجـيء النبـي ﷺ، فمـع بـزوغ فجـر الإسـلام وتشـريف العـالم أجمـع بخيـر البريـة وأشـرفها، كـان أول أمـر فـي القرآن دعـوة للفكـر والعلم، ففي أعظم آيتين تحدثتا في هذا الصدد، الأولى تأمر رسول الله وأمته بضرورة التعلم وفرضيته، وأنه لا ضمير ولا تاريخ ولا هوية لأي أمة مهما بلغت عظمتها دون العلم والمعرفة والتدوين، فقال سبحانه في محكم التنزيل "**أقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، أقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم**"[١] وعلى ذكر القلم قال سبحانه في موضع أخر.

(ن والقلم وما يسطرون)[٢] وقال أحد الحكماء: القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون القلوب، وقديما قالوا: عقول الرجال تحت أسنّة أقلامها، قلم صائغ الكلام، يفرغ ما يجمعه القلب، ويصوغ ما يسبكه اللّب، وقال جعفر بن يحيى: لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم[٣]

ولـم يتوقـف الحـد عنـد مجـرد الكتابـة والتـدوين بـل وتعـداه لأمـور أخـرى كالترجمـة، وتدوين العلوم، ونشطت حركة التأليف والجمع ونسخ الكتب ايما نشاط .

وكان الباعث على هذا أمرين.

۞ الأول: اهتمام اولى الأمر وأرباب السلطة بتلك القضية .

كـان النبـي ﷺ أول مـن أعطـى إشـارة البـدء فـي تلـك العمليـة الخطيـرة، فبنـاء المسـجد الجـامع لـه أغراض عده بجانـب الجمـع والجماعـات من اهمها التعلم والتفكر والتدبر، والعلم ومدراسته أمور تحتاج إلى التدوين والنسخ لا ريب.

---

١ أقرأ آية ١– ٤

٢ القلم: آية (١)

٣ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، لناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، جـ٧/ ٢٠.

ثم جاء الصحابة الكرام ونهجوا نفس نهجه صلى الله عليه وآله، وصار من من بعدهم من خلفهم .

ونشطت الحركة الفكرية والثقافية مصحوبة بحركة النسخ والتدوين وازدهار الخط، وذاع صيت الأدب والشعر والتاريخ وغيرها من العلوم.

ومع انتقال مركز الحكم من الكوفة إلى دمشق وتولى بني أميه مقاليد الحكم، بدأت الدولة الإسلامية في عهد جديد، يركز على الأخذ بأسباب الحضارة والفكر والتقدم، لاسيما وأن الحضارة الإسلامية انفتحت واختلطت بحضارات أخرى وأجناس عدة من الفرس ، والروم، والديلم، والبربر، وغيرهم .

وأهتم خلفاء بني أميه بالحركة الفكرية والعلمية والثقافية، وحركة التدوين والترجمة، وليس أدل من ذلك كلام عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م) حيث يقول: " ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخفّ بهم: العلماء، والسلطان، والإخوان؛ فمن استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته."[١]

ومما لاشك فيه أن الترجمة من العلوم والثقافة اليونانية وغيرها من الحضارات الأخرى في مختلف الفنون والمعارف، بدأت في بواكير العصر الأموي، فمن الأسماء التي برزت على الساحة في عصر معاوية ابن اثال الطبيب النصراني[٢]....

---

١ ابن عبد ربه أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)،: العقد الفريد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، ٣٢٥/٢

٢ كان طبيبا مشهوراً من أطباء النصارى، أدناه منه معاوية وبلغ عنده منزلة عظيمة، وكان عنده معرفة عظيمة بالعقاقير والأدوية، ويقال إن معاوية كان يستخدمه لتصفية خصومة من ذلك قتله لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقتله المهاجر بن خالد ثأراً لعمه في عهد معاوية . أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، جـ ١٤٥٣/٤.

الذى أدناه منه معاوية نظرا لعلمه وحرفته في صنعة الطب والعقاقير[١].

ومما لا شك فيه أن الحاجة لتدوين المراسلات والمكاتبات، وكتابة اسماء القبائل والجند، والعطاء والرواتب، وتدوين العلوم، وغيرها من الأمور التى أسهمت في تطوير وتجويد هذا الفن.

وعليه فلم تعد الامكانات المتاحة من عظام وعسيب النخل وأوراق البردي كافية لري ظمأ الكتاب، وسد حاجة الدولة، على الصعيد الفكري أو السياسي أو الإداري.

ومع اهتمام دولة بني أمية بتلك القضية ، وجمع القرآن في صحيفة واحدة في عهد عثمان ﷺ، وتشجيع ارباب الحكم لحركة النسخ والكتابة، بدءًا من علي بن أبي طالب ﷺ، الذى قال عن الخط والكتابة، "ألق دواتك[٢]، وأطل سنّى قلمك [٣]، وفرّج بين السطور، وقرمط بين الحروف[٤]"[٥].

مرورا ببني أمية ، الذين اولوا الخط والكتابة وما يتعلق بهما عناية فائقة، لا سيما وأنهما قد تعلقا بأشرف مكتوب الا وهو القرآن الكريم.

ومن اوائل النساخ والوراقين والخطاطين الذين ذاع صيتهم وكان لهم الباع الكبير في تطور هذا الفن خالد بن أبي الهياج، يقول ابن النديم نقلا عن محمد

---

١ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المحقق: الدكتور نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت ، ١٧١ .

٢ يُقالُ: لِقتُ الدَّواةَ وهي مَلِيقةٌ هذا إذا أصلحتَها وزدتَ في سَوادها

٣ جاء في اللسان يُقَالُ: أَطِلْ سِنَّ قَلَمِكَ وسَمِّنْها وحَرِّفْ قَطَّتَك وأَيْمِنْها. وسَنَنْتُ الرَّجُلَ سَنّاً: عَضَضْتُه بأَسناني، كَمَا تَقُولُ ضَرَسْتُه. وسَنَنْتُ الرجلَ أَسُنُّه سَنّاً: كَسَرْتُ أَسنانه . ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، ٢٢١/١٣، فصل السين .

٤ القرمطه في الخط، دقة الكتابة وتداني الحروف. لسان العرب، ٣٧٧/٧، فصل القاف.

٥ ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لمحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران ، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م ، ٥٧٠/١ .

بن إسحاق، " أول من كتب المصاحف في الصدر الأول، ويوصف بحسن الخط، خالد بن أبي الهياج رأيت مصحفا بخطه ، وكان قد نُصب لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي ﷺ بالذهب من **{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}** (سورة الشمس) إلى آخر القرآن ويقال إن :عمر بن عبد العزيز قال أريد أن تكتب لي مصحفا على هذا المثال فكتب له مصحفا تنوق[١] فيه فأقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فرده عليه" [٢]

ومن الاسماء التى اشتهرت كذلك في عهد بني أمية، سرجون بن منصور الرومي[٣]، ...

---

١ التنوق تعنى الإجاده والحسن في الصنعة، وقيل هو المبالغة في الصنعة . الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة دار الهداية، ٥٣٣/٧، مادة جود. إبراهيم مصطفى . وآخرون،: المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ٩٦٤/٢، مادة نوق

٢أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) : الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، صـ ١٧

٣ سرجون بن منصور الرومي، كان نصرانيا فأسلم، وكان من الخاملين، إلى أن ذاع صيته بسبب حسن خطه، وإجادته للنسخ والكتابة، فكتب لمعاوية بن أبي سفيان ويزيدَ ابنه ومَرْوان بن الحَكم وعبد الملك بن مَرْوان، إلى أن أمره عبدُ الملك بأمرِ فتوانىَ فيه فكان ذلك سببا في تحويل الحساب من الرومية إلى العربية ، وذكر ابن عساكر في تاريخه أنه كان نصرانيا فأسلم . راجع خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧,٢٩٩. ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢٥٢/٤. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م٢٠/١٦٢.

وسليمان بن سعد[١] وعبد الحميد بن يحيي الكاتب[٢]، وغيرهم .

ثم كان العصر العباسي، عصر الازدهار، عصر الفخامة والعظمة في الكثير من الميادين والفنون، والمعارف، ومنها الكتابة ، والنسخ والوراقة.

---

١ سليمان بن سعد الخشني، قيل إنه أول من نقل حساب الديوان من الرومية إلى العربية، كتب لعبد الملك بن مروان وسليمان وعمر بن عبد العزيز، كان فصيحا أديباً، عالماً بالعربية، توفي في سنه ١١٠هـ/ ٧٢٨م . للمزيد الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف،الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ٥٥/٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ٣٠٢/٩.

٢ عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري المعروف باسم عبد الحميد الكاتب، كان في مبدأ أمره معلماً، ثم بلغ في علم البلاغة وفروعها مبلغا جعله مضربا للأمثال، قال بعضهم يمدحه،(أنسيتم كتبا شحنت فصولها ... بفصول در عَنْكُم منضود)

(ورسائلا نفذت إِلَى أطرافكم ... عبد الحميد بِهن غير حميد)، وَيُقَال إِن: عبد الحميد أول من نهج طرق الْكِتَابَة وَبسط من بَاعَ البلاغة وشنف الرسائل وقرطها ولخص فصولها وخلصها، وَكَانَ مَرْوَان بن مُحَمَّد يستكتبه ويكرمه ويقدمه وَلَا يرى الدُّنْيَا إِلَّا بِهِ، وَكَانَ عبد الحميد يَقُول أكْرمُوا الْكتاب فَإِن الله تَعَالَى أجْرى أرزاق الْخلق على أَيْديهم وَكَانَ يَقُول إِن كَانَ الوحى ينزل على أحد بعد الْأَنْبِيَاء فعلى بلغاء الْكتاب، وَمن غرر كَلَامه الْعلم شَجَرَة ثَمَرهَا الْأَلْفَاظ والفكر بَحر لؤلؤة الْحِكْمَة، وَقيل لَهُ مَا الذى خرجك فى البلاغة فَقَالَ حفظ كَلَام على بن أَبى طَالب، ﷺ، وقد استدار الزمان له، فبموت مروان بن محمد أخر خلفاء بني أميه تم التنكيل به وأختلف في وفاته فقيل قتل معه في قرية أبو صير بالفيوم، سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩م ، وقيل بل صب على رأسه الماء المغلى حتى مات . للمزيد، الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف القاهرة، صـ ١٩٧ . مجير الدين المقدسي، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ): التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، مجموعة من المحققين، دار النواد سوريا، لطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م، ٤٩/٣.

ولعل الذى ساعد على رواج تلك المهنة في العصر العباسي، بجانب اهتمام الخلفاء والأمراء بحركة الترجمة والنسخ أمر أخر، لا يقل أهمية عن ذلك الأمر، الا وهو اكتشاف الورق.

صناعة الورق ودورها في رواج مهنة الوراقة .

من المعروف أن الورق لم يكن من الأشياء المعروفة لدى العرب، في العصر الإسلامي الأول، وذلك لبعد العرب عن صنعة التدوين والتأليف، وعدم حاجتهم الملحة لصحائف، لتدوين المعارف، واسماء الجند ورواتبهم، والأوقاف على طلبة العلم، ومؤسسات البر والتعليم والثقافة.

لكن مع اتساع رقعة الدولة، وانفتاحها على الثقافات الأخرى، واختلاط الثقافة العربية، بغيرها من الثقافات والحضارة، ومع الطفرة الهائلة التي حدثت في تكوين الدولة العباسية، الفكري والثقافي، باتت الحاجة ملحة وضرورية لإيجاد بديل قوي وسريع وفاعل، عن البردي أو عسيب النخل، أو العظم، اضف إلى ذلك ، زيادة عدد نسخ المصحف، فبعد تدوين المصحف، في عهد عثمان رضي الله عنه، باتت هناك رغبة من الجميع عرب وغيرهم في حفظ كتاب الله، والإقبال علي معانيه، وفهم مقاصده.

وحقيقة تباينت الأقاويل حول تحديد وقت معرفة العرب للورق، أو الكاغد، ولكن اتفقت كلمتهم جميعاً، أن تلك الصنعة مشرقية المنشأ عرفت في الصين وسمرقند، وانتقلت عبر العلاقات السياسية والعسكرية، إما بالأسر، أو الحروب، أو من خلال العلاقات الثقافية والتبادل التجاري.

وقد اشارت المصادر والمراجع إلى مثل هذا حيث يقول الجاحظ: " ومن سمرقند الكاغد"[1]

---

١ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ): التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، المحقق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ٢٨

وكان للبرامكة عظيم الأثر في رواج مهنة الوراقة، وادخال الورق إلى الدولة العباسية، على اعتبار أن هذا دلالة على الرقي، والتقدم والعظمة، فقد ذكر ياقوت في معجمه، عن أبي إسحاق الحبال[1]، كان يستعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند، ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة، وكان في خزانته عدة من الوراقين، فاستعفى بعضهم فأمر بأن يحاسب ويصرف، فكمل عليه مائة دينار، فعاد إلى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء.[2]

وعند حديث القزويني عن مدينة سمرقند يقول:

"وبسمرقند أشياء ظريفة تنقل إلى سائر البلاد: منها الكاغد[3] السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلا بالصين؛ وحكى صاحب الممالك والمسالك انه دفع من

---

١ إبراهيم بن سعيد بن عبد الله، النُّعْماني، ابن أبي الطَّيِّب الفرَّاء، الكُتُبي، الوَرَّاق، المِصْري، الإمام الحافظ المتقن، أحد كبار علماء الحديث في مصر والعالم الإسلامي في زمانه، ولد سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١م، سمع من العديد من العلماء في زمانه، كان ثقة ورعا خيراً، امتحن وأبتلي وأوذى كثيراً،لما منع من التدريس ومزوالة تعليم الحديث بسبب حكام مصر الفاطميين ، وهم بالطبع عكس العقيدة السنية، اشتغل بتجارة الكتب ومهنة الوراقة ليتقوت منها، له كتاب وفيات الشيوخ، توفي رحمه الله ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩م. للمزيد ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٧٤٤ هـ): طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان
الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، ٣٦٨/٣ . الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ٤٠/١ .

٢ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ): معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق، حسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م ، /٧٨٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء، الناشر: دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ٣٢/١٤ .

٣ فارسي معرب، وهو القرطاس أو الورق. الزبيدي : تاج العروس ١١٠/٩.

الصين إلى سمرقند سبي، وكان فيهم من يعرف صنعة الكاغد، فاتخذها ثم كثرت حتى صارت متجراً لأهل سمرقند، فمنها تحمل إلى سائر البلاد"[١]

كما ذكر القلشندي كذلك أن صناعة الورق إنما عرفت في الصين، فكانوا يكتبون في ورق من الحشيش[٢]

يذكر ابن النديم: "أن العرب كانت تكتب في أكتاف الإبل اللخاف وهي الحجارة البيض العريضة الرقاق، وفي العسب عسب النخل، وأنهم بعد ذلك كتبوا في الجلود المدبوغة. ويذكر أن الدباغة في أول الأمر كانت بالنورة وهي شديدة الجفاف، ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين، ثم كتبوا في الورق الخراساني، وكان يعمل من الكتابن وحدث صنعه في أيام بني أميه وقيل في الدولة العباسية، وقيل إن صناعا من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني الذي كان يصنع من الحشيشن ويذكر من أنواعه: السليماني، والطلحى، والنوحي، والفرعوني، والجعفري، والطاهري"[٣]

إذا فمن خلال تلك النصوص التي اتفقت جميعها على أن الورق صناعة أجنبية، دخيلة علي الثقافة العربية، جاءت عن طريق الصين وسمرقند والهند ومصر وغيرها. وأن رواج تلك الصنعة وشهرتها كان مع بدايات العصر العباسي، على اعتباره عصر الثقافة والنهضة الفكرية، كما أن نشاط حركة الترجمة، والتدوين، واتساع رقعة الدولة، كل هذه الأسباب أدت إلى رواج وازدهار مهنة الوراقة، في العصر العباسي وحدوث طفرة هائلة، في الحركة الفكرية والحضارية بسبب اكتشاف الورق.

وقبل أن أختم الحديث عن الوراقة في العصر العباسي، يطيب لي أن أذكر بعض أمثلة عن بعض الوراقين الذين اشتهروا في تلك الفترة وكان لهم بالغ الأثر في تطور الحركة الفكرية والحضارية، في العالم الإسلامي.

---

١ القزويني زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ) : أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، ٥٣٦.

٢ صبح الأعشى: ٥١٥/٢ .

٣ الفهرست: ٣٥.

نماذج من الوراقين في العصر العباسي.

قبل الحديث عن نماذج لبعض الوراقين في العصر العباسي، لابد أولا من معرفة، أماكن تجمع هؤلاء الصناع والكتاب، فمما لاشك فيه، أن مهنة كمهنة الوراقة، تحتاج إلى أماكن لاجتماع اصحابها، على اختلاف مشاربهم وفنونهم، فمنهم الناسخ ومنهم البائع ومنهم الكاتب، ولاريب كذلك، أن تلك الأماكن كانت، بمثابة منتديات فكرية، وثقافية، وصالونات أدبية، يطرح فيها الأفكار، وتتبادل فيها الرؤى.

وعليه فإن تلك الأماكن كانت تختار بعناية ودقة فائقة، بحيث تكون في مكان يسهل على رواد الحركة الفكرية والثقافية المرور بها بسهولة ويسر.

بالإضافة إلى تنوعها وكثرتها فقد ذكر اليعقوبي المتوفى في القرن الثالث الهجري، أن بإحدى ضواحي بغداد والمعروف وقتها بربض[١] وضاح [٢] أكثر من مائة حانوت للوراقين[٣].

وكما ذكرنا فإن مهنة الوراقة لاقت رواجاً كبيراً في تلك الفترة، واصبحت حوانيت الوراقين، أشبه بمنتديات فكرية وثقافية، وأماكن لتبادل الخبرات والمهارات المتنوعة والمختلفة، وأصبح الوراق ذو سطوه وسلطة، لاسيما وإن بعضهم جمع بين نبوغ الفكر، والذكاء، وحلاوة الخط، وبراعة الحساب، وحلاوة المنطق، والقدرة علي الترتيب والجمع والتأليف.

---

١ الربض : الفضاء حول المدينة، أو ظاهرها، ويقال على وسط الشيء ربض، وكذلك يقال لمرعي الغنم ربض، . ابن سيده: المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، مادة ربض. الزبيدي: تاج العروس، مادة ربض.

٢ الوضاحية مكان قديم بالعراق نسب إلى وضاح مولى عبد الملك بن مروان، وقيل فيه: لقد جاهد الوضّاح بالحق معلنا، ... فأورث مجدا باقيا آل بربرا. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) : جُمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ،٣٣٠/٨. ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، ٣٧٩/٥.

٣ أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ ، صـ٣٥.

ولعل من أشهر هؤلاء ابن مقلة[١]، وابن البواب[٢]، وياقوت[٣]، وغيرهم .

ومن النماذج التى ذاع صيتها، وبغلت شهرتها عنان السماء في تلك الصنعة، محمود الوراق.

وهو محمود بن الحسن الوراق، شاعراً، وأديباً، ويقال كان أصل عمله نخاساً[٤] يبيع الرقيق، كان معظم شعره في الزهد والعظة، ومن شعره في باب الزهد والرقائق:

---

١ الوزير أبو عليّ محمد بن عليّ بن الحسين، أحد أشهر الخطاطين على الاطلاق، حتى أن بعضهم أطلق عليه لقب رسول الخط، تقل عليه الدهر بأفراحه وأتراحه، فتولى الوزارة ثلاث مرات، وكان من أشهر الكتاب في تجويد الخط وتحسينه، وله الفضل في جعل الخط العربي، علما مستقلاً، وفنا له قواعده وأصوله، ولد سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥م ، وتوفي في سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠م، مسجوناً، وما بين الميلاد والوفاة، سجل حافل بالأعمال ، فعلي الصعيد الفكري والثقافي، جود الخط وحسنه، وإليه نسب الخط المنسوب، وتربح من اشتغاله بالخط أمولا طائلة، وولي مناصب عده فضلا عن الوزارة ، وولاية فارس وغيرها، ولعل هذا يؤكد ما أشرت إليه، أن الدولة كانت تولي الكتاب والنساخ والخطاطين والمفكرين عناية خاصة، وتغدق عليهم وتنفق عليهم الأموال الطائلة، . للمزيد الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠٣/٢ . ياقوت : معجم الأدباء، ٢٥٧٤/٦ .

٢ أبو الحسن علي بن هلال، المعروف بابن البواب، أحد كبار الخطاطين، في زمانه، كان مزوقا ومذهبا وشاعرا وأديبا، وكاتبا بارعاً، كما تولى العديد من المناصب السياسية، ولعل هذا يؤكد علي قدر أرباب القلم، في تلك الفترة الحيوية من تاريخ الأمة الإسلامية، وقد مدح بعض الشعراء بعض الكتاب، وشبهه بابن البواب فقال: يا ابن بدر علوت في الخطّ قدرا ... حين ما قايسوك بابن هلال ذاك يحكي أباه في النقص لما ... جئت تحكي أباك عند الكمال، وقد توفي رحمه الله في سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢م . ياقوت : معجم الأدباء، ٢٠٠٣/٥.

٣ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، أصله من بلاد الروم، تم أسره صغيرا وآلت أموره لرجل يعرف عسكر بن أبي نصر الحموي، فعرف بالحموي نسبة له، وكان مولاه لايحسن الكتابة ولا الحساب فانتفع به لضبط تجارته وأموره معايشه، ولما اعتقه سيده بعد سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠م، اشتغل بالنسخ والكتابة ، وبعد وفاة مولاه، اشتغل بالتجارة مع التأليف، وجمع بين الصناعتين ، وكانت معظم تجارته في الكتب والوراقة، فحصل له النفع العظيم، وقد آلف في عدد من العلوم له منها، كتاب معجم البلدان ،ومعجم الأدباء، ومعجم الشعراء، وكتاب المشترك وضعا والمختلف صقعا، وغيرها من المؤلفات. وقد توفاه الله سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م. للمزيد ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٢٩/٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام، ٨٢٣/١٣

٤ النخاس: في اللغة بائع الدواب، سمي بذلك لنخسه الدواب، فتنشط، كما يطلق كذلك على بيع الرقيق. ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، مادة نخس.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشّكر
فكيف بلوغ الشّكر إلاّ بفضله ... وإن طالت الأيام واتّسع العمر
إذا عمّ بالسرّاء عمّ سرورها ... وإن عمّ بالضرّاء أعقبها الأجر
فما منهما إلاّ له فيه نعمة ... تطول بها الأوهام والبرّ والبحر[1]
ومن شعره الفلسفي الذى صار ... مثلا عند كبار الفلاسفة بعد ذاك
وإذا غلا شيء على تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا[2]

تلك النظرية التي عرفت فيما بعد بمحاربة الغلاء بالاستغناء.

وقد ذكر الخطيب البغدادي وغيره كابن الجوزي والعديد ممن نقل عن الخطيب وابن عساكر، رواية ما بين محمود الوراق والمعتصم مفادها " أَخْبَرَنِي الأزهري، حدّثنا محمّد بن جعفر النّجّار، أخبرنا أبو محمّد العتكيّ، حَدَّثَنَا يموت بن المزرع عن الجاحظ قَالَ: طلب المعتصم جارية كانت لمحمود الوراق وكان نخاسا بسبعة آلاف دينار، فامتنع محمود من بيعها، فلما مات محمود اشتريت للمعتصم من ميراث محمود بسبعمائة دينار. فلما دخلت إليه قال: كيف رأيت؟

تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة. قالت: أجل، إذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث فإن سبعين دينارا كثيرة في ثمني، فضلا عن سبعمائة دينار فأجلته."[3]

---

١ صفيّ الدين، أبو الفتح عيسى بن البحتري الحلبي (المتوفى: بعد ٦٢٥هـ): أنس المسجون وراحة المحزون، المحقق: محمد أديب الجادر، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م ، صـ٣٢ .

٢ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، ٨٨/٣ .

٣ تاريخ بغداد، ١٠٢/١٥ . محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) : التذكرة الحمدونية ، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م، ٤١٦/٩ . ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جـ٨٤/١١.

وهذه الرواية من الروايات التى دست على المعتصم وليس لها أدنى قدر من الصحة والسلامة [1].

---

١ وذلك لأسباب. أما من ناحية السند فإن الرواية فيها:

١- يموت أو محمد بن المزرع، عرفه الخطيب البغدادي بأنه صاحب أخبار وحكايات، كان أديبا وشاعرا ولغويا ، يغلب علي أخباره الملح ، قدم بغداد سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣م، وهو شيخ كبير وحدث بها، كان من عاداته أن لايزور مريضا خوفا أن يتطير باسمه، وجل من ترجم له على أنه شاعرا وأديبا وإخباريا، وله العديد من النوادر التي لا يصدقها العقل، ولعلها من صنعة الأدباء ، لتشويق القاريء والتأثير عليه وفيه، من ذلك مثلا قوله: حدثني من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب: لا تغترن أحد بالدنيا؛ فإني ابن من كان يطلق الريح إذا شاء، ويحبسها إذا شاء، وبحذائه قبر مكتوب: كذب الماصّ بظر أمّه، لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام، إنما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق، ثم ينفخ بها الجمر، قال: فما رأيت قبرين قبلهما يتشاتمان، وله العديد من النوادر التى تدل على أنه كان يخلط الجد بالهزل ، وعليه فهو عندي موضع شك، فقد سكت عنه أهل الجرح والتعديل، مما يدل على أنه كان خاملا في الحديث، ورواياته بها لبس ومنها تلك الرواية ، ومات بطبرية من أرض الشام (الأردن حاليا) في سنة ٣٠٣ هـ وقيل ٣٠٤ هـ / ٩١٦م في خلافة المقتدر . للمزيد بن زبر الربعي، : أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (المتوفى: ٣٧٩هـ): تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠، جـ٢/٦٣٤ . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٦/ ٥٢٣ . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٧/ ٥٦ . بامخرمة الهجراني، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧ هـ): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق : بو جمعة مكري / خالد زواري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م جـ١٨/٣ .

٢- الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب ، أبو عثمان ، المعروف بالجاحظ، الأديب والشاعر واللغوي الأشهر، أحد شيوخ المعتزلة وأقطابها الفكرية، وذكره الذهبي في تاريخه فقال: " كان واسع النقل كثير الإطلاع، من أذكياء بني آدم وأفرادهم وشياطينهم. قال أبو العباس ليس ثقة ولا مأمون " وقال عنه الذهبي كان ماجنا ، قليل الدين له نوادار، وقال عنه الخطيب البغدادي ، لا يصلي، وقال عنه ابن أبي دواد ، أثق بظرفه ولا اثق بدينه، ،وقال عنه الذهبي ايضا، كان من ائمة البدع، وقال ابن حجر، نقلا عن ابن حزم أنه كان ماجنا، وقال ثعلب كان كذابا يكذب على الله ورسوله والناس، توفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩م . للمزيد الخطيب : تاريخ بغداد، ١٤ / ١٢٤ . الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال=

الوراقة في العصر الأيوبي.

الدولة الأيوبية إحدى الدويلات التابعة للدولة العباسية، والتابعة للمشرق الإسلامي، تنسب إلى صلاح الدين الأيوبي (٥٧٨-٥٨٩هـ/ ١١٨٢-١١٩٣م) وكان صلاح الدين وأسرته في خدمة نور الدين محمود (٥٤١-

=الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ): نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ،١٥٠ . الذهبي : تاريخ الإسلام، ١١٩٣/٥ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ، جـ٢٤٧/٣ . ابن كثير البداية والنهاية ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، جـ٥١٤/١٤ . ابن حجر : لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م، جـ٣٥٧/٤ .

وعليه فإن تلك الرواية لا يحتج بها، وتعد من الموضوعات التى وضعت على خلفاء بني العباس، كما أن المعتصم (٢١٨- ٢٢٧ هـ / ٨٣٣-٨٤١م) لم يكن تلك الشخصية الشهوانية التى صورتها الرواية فقد تولى الخلافة في فترة من أصعب الفترات والأزمات، ولعل من أهم تلك الأحداث ثورة بابك الخرمي، وتوغله في بلاد الروم، ولعل موقفه الأشهر لما صرخت مرأة من نساء المسلمين وا معتصماه، فكان سببا لفتح عمورية، ركب على رأس جيش جرار ولما أتم الله عليه فضله قال : لبيك !! . تاريخ خليفة، ٤٧٧ . أبو حنيفة الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الناشر: دار إحياء الكتب العربي – عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ م، صـ٤٠٥.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) : تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ ،جـ١١/٩. بهاء الدين البغدادي: التذكرة الحمدونية، ٥٢/٢. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م :جـ ٣٨/٦ .

٥٦٩ هـ/ ١١٤٧- ١١٧٤م) وخلفائه، أي أن الدولة الأيوبية مشرقية الأصل والنشأة تأثرت بالحركة الفكرية والثقافية للدولة العباسية [١]

ومما لا شك فيه أن صلاح الدين عرف قيمة مصر التاريخية والفكرية وكذا خلفائه ومن ذلك قول العادل (٥٩٦-٦١٥ هـ/ ١٢٠٠-١٢١٨م)، " أنا لا أحب أن أكسر ناموس القاهرة، لأنها أعظم معاقل الإسلام" [٢] وهناك العديد من الاشارات التاريخية التي تدلل علي قدر مصر وتوقير سلاطين بني أيوب لها، لذا فليس من الغريب أن يفد إليها أهل العلم وأرباب الفكر والثقافة، وليس الوراقين وحسب.

وعلي الرغم من صعوبة فترة دولة الأيوبيين السياسية لما فيها من صراعات داخليه وخارجيه كان من أشهرها الصراع مع الصليبين، غير أنها اهتمت بالفكر والثقافة، وليس أدل على ذلك أنشاء المدارس كالمدرسة الصلاحية(٥٨٢هـ/١١٧٦م)[٣] والمدرسة الكاملية [٤] ومدرسة الصالح نجم

١ محمد سالم عباس الصعيدي: الهجرات المشرقية إلى مصر وأثرها في الحياة الفنية إبان العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر، ٢٠١٨م، صـ ٤٦

٢ محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جمال الشيال وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م، جـ١٠٩/٣.

٣ موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (المتوفى: ٦١٥هـ): مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، جـ٢٥/٢.

٤ أثر رقم ٤٢٨، أسسها الملك الكامل ٦٢٢- ١٢٢٥، عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام، صـ ٢٧٩

الدين أيوب[١] وكذا الخانقوات ولعل على رأسها الخانقاة الصلاحية[٢] وقد استدعى وجود تلك المدارس والمؤسسات التعليمة وجود مكتبات وخزائن للكتب ومن ثم رواج حركة الوراقة.

فمثلا عند النظر إلى دار الحديث الكاملية سالفة الذكر نجد أنها أول مدرسة لتدريس الحديث في مصر والثانية من نوعها في العالم، فقد وقف عليها الكامل ربعا سكنيا، وخصصها لتدريس الحديث، واستجلب لها كبار الأساتذة والمحدثين، وجعل لها نظاما خاصا بها، كما تم عمل مكتبة ضخمة بالمدرسة، لتزويد طلاب العلماء بما يحتاجون إليه [٣]

ومما ذكره المقريزي في معرض حديثه عن الكامل: "كان يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبويّ، وحدّث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو، فمن أجاب عنها حظي عنده، وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدّة من أهل العلم

١ أثر رقم ٣٨ أسسها الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، عبد الرحمن زكي القاهرة في ألف عام، صـ ٢٨٠.

٢ دار سعيد السعداء خادم المستنصر من خدام القصر. وصارت في آخر الوقت سكن الوزير طلائع بن رزيك وولده رزيك بن طلائع الذي صار إليه الملك، سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سرداب تحت الأرض وصار يخرج من هذه إلى هذه من ذلك السرداب. ثم سكنها شاور ثم ولده الكامل. ثم رجعت إلى السلطان صلاح الدين فوقفها على الفقراء القاطنين والمترددين من الصوفية، وكذلك وقف عليهم بستان الحبانية الذي بجوار بركة الفيل وهو من أحسن الأماكن وأبهى مواطن العبادات وله ضيعة بالبهنساوية أوقفها عليها تسمى دهمرو ولها قيسارية الشرب وغير ذلك. ولها حطب مقرر في كل سنة وغلّة. ومن شرط صلاح الدين بها أن من مات من الصوفية ومعه فوق العشرين ديناراً كانت للصوفية لا يتعرض إليه ديوان المواريث، ومن سافر أعطي للتسفير، ولهم دخول حمام مباح وأشياء غير ذلك. ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد السيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦، ص ٤٩

٣ للمزيد الذهبي : تاريخ الإسلام، جـ١٣/ ٦٣١. المقريزي: الخطط، جـ٤/٢١٩.

على أسرّة بجانب سريره ليسامروه، وكان للعلم والأدب عنده نفاق، فقصده الناس لذلك، وصار يطلق الأرزاق لمن يقصده لهذا"[١]

ولدينا المدرسة العادلية التي خصصت لتدريس المذهب المالكي[٢]

وهناك العديد من المنشآت ذات التخطيط المتعامد مثل مدرسة الصالح نجم الدين أيوب والتي خصصت لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة بجانب الحديث وغيرهما من العلوم[٣]

ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه المنشآت ساهم في اثراء الحياة الفكرية، وتطور حركة الوراق والنسخ والكتابة، ولم تقتصر المؤسسات العلمية على سلاطين بني أيوب بل شارك فيها العلماء وكبار رجال الدولة.

مثل صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر كان وزيراً للعادل الأيوبي، ت (٦١١ هـ – ١٢١٤م)[٤] الذى أنشأ المدرسة الصاحبية وجعل بها خزانة للكتب وجعلها وقفاً على المالكية![٥]

وقد نشطت حركة الفكر والثقافة والوراقة وبرز دور الوراقين، كونهم هم المصدر الأول لتزويد تلك المكتبات والخزائن والمعاهد العلمية بما تحتاج إليه من كتب ومراجع ووثائق نفيسه.

ومن بين هؤلاء الوراقين على سبيل المثال لا الحصر.

ابن صورة الوراق:

وصفه العماد الأصفهاني فقال:

---

١ الخطط المقريزية: جـ٤/٢٢٣.

٢ المقريزي: الخطط، ٤/٢٠٣

٣ المقريزي: الخطط، ٤/ ٢١٨.

٤ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ٤/١٦٣٢. الذهبي : تاريخ الإسلام، جـ١٣/ ٣٢٩.

٥ المقريزي : الخطط، جـ٤/٢١٣.

"دلال الكتب وعارفها وجاني ثمارها وقاطفها وما لأحد صنعته في ترويجها وتخريجها وتقويمها تارة في تقويمها حسب مراده وتعويجها فمن عني به أنجح أمله وذلل صعبه وسهله أن باع أو ابتاع له"[١]

وصاحبنا هو: أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة، كان سمساراً ودلالاً للكتب، وكان ذا صيت وشهرة فاقت الذيوع، حتى بلغ من صيته وشهرته وتمكنه من صنعته، أن حدد موعداً خاصا من كل أسبوع وهو يومي الأحد والأربعاء، يجلس في وقت معين في دهليز خصصه لاستقبال أكابر رجال الدولة وكبار المثقفين والمفكرين، وكان هذا المجلس بمثابة دار نشر كبرى، بل إن شئت فقل يعد من أكبر دور النشر في عصره.[٢] ويبدو أن تلك المهنة كانت تدر عليه ربحاً طائلاً حيث وصف أحدهم داره فقال:

أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من مهاوش ... فعما قليل في نهابر يعدم [٣]، وقد توفاه الله في سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م ولدينا كذلك.

الحسيني الغرافي .

العالم الفقيه المحدث تاج الدين أبو الحسن القرشي العلوي الحسيني الغرافي ثم الإسكندراني الشافعي، يعود نسبه إلى موسى الكاظم، ولد في سنة ولد في سنة ثمان وعشرين وست مائة،(٦٢١هـ/١٢٢٤م) سمع وتتلمذ على كبار الفقهاء والمحدثين، وكان استاذاً لدقيق العيد كما كان كثير التلاوة، كاتباً بارعاً،

١ البرق الشامي، تحقيق/ فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان – عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧، جـ٣/٦٢.

٢ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١/١٩٧.

٣ ابن شاكر: فوات الوفيات، جـ٤/١٨٤.

وناسخاً مجيداً، وعاش حياته منقطعاً للعلم والكتابة والوراقة بلا زوجة ولا عائلة، وقد توفاه الله في سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤م[١]

وهناك العديد من النماذج التي لا يتسع المجال لذكرها لكن ما ارادت أن أقوله: أن العصر المملوكي كان امتداداً للعصر الأيوبي، فالمماليك في الأصل جلبان للأيوبيين وتبعاً لهم.

لذا فإن عصر الأيوبيين بما فيه من معطيات ثقافية وفكرية وحضارية، كان خير مقدمة وتمهيد للمماليك، الذى يعتبر بحق قمة الهرم الفكري والثقافي والحضاري لمصر الإسلامية منذ الفتح العربي وحتى عصرنا المعاصر. !

الوراقة في العصر المماليكي

يعد هذا العصر واحداً من أهم العصور التي مرت علي تاريخ العالم الإسلامي، وعلى تاريخ مصر بصفة خاصة، وكأن الله سبحانه قد أراد لمصر أن تكون حجر الأساس، وركن الزاوية في بناء الأمة، حيث قدر الله لها أنَ يجعل رد غارات التتر، والمغل، وهجمات الصليبين علي أيديهم، كما أدى انتقال الخلافة من بغداد إلى القاهرة إلى تحول قبلة المسلمين العلمية والفكرية والثقافية من المشرق نحو مصر، حيث أثر هذا التحول الذى أعقب احتلال التتر لبغداد وسقوطها ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م ، إلى وفود عدد كبير من المشارقة بمختلف جنسياتهم ومشاربهم، ومآربهم العلمية والفكرية[٢]

ولله در الصفدي حين قال:

لم لا أهيم بمصرٍ ... وأرتضيها وأعشق

وما ترى العين أحلى ... من مائها إن تملق

وقال ابن الوردي:

---

١ الذهبي: معجم المحدثين، صـ١٥٩.

٢ راجع محمد سالم : الهجرات المشرقية إلى مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، بكلية اللغة العربية بالمنصورة ، ٢٠١٧م

ديار مصر هي الدنيا وساكنها ... هم الأنام فقابلها بتقبيل

يا من يباهي ببغدادٍ ودجلتها ... مصر مقدمة والشرح للنيل

وأبدع منه ما قيل في المعنى أيضا لابن سلّار:

لعمرك ما مصر بمصرٍ وإنما هي الجنة العليا لمن يتذكر

وأولادها الولدان من نسل أدم وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وللقاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري في هذا المعنى:

ما مثل مصر في زمان ربيعها لصفاء ماءٍ واعتدال نسيم

أقسمت ما تحوي البلاد نظيرها لما نظرت إلى جمال وسيم[1]

فاضحت مصر في تلك الفترة، قلعة العلم والفكر، وباتت ملاذا للمفكرين، وأرباب الفكر والثقافة، والأدب والشعر.

ومما لا شك فيه أن مهنة الوراقة إحدى المهن التى ازدهرت ولاقت رواجاً كبيراً.

سوق الوراقين

السوق في اللغة، حدود الشيء، والسيقة، ما استيق من الدواب، ويقال : سقت إلى امرأتي صداقها، وسميت السوق بهذا الاسم لما يساق لها[2] ومنه قول الله تعالى ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾[3].

ويقال: تسوق القوم، إذا باعوا واشتروا [4].

---

١ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر ،جـ٥٢/١

٢ الرازي أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، مادة سوق، جـ١١٧/٣ .

٣ الزمر : ٧٣

٤ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ،مادة سوق، ١٤٩٩/٤.

وعليه فإن سوق الوراقة، كأي سوق لها حدود أربع، ويشغل حيزا جغرافيا، وله رواده ، ويشتمل على حركة بيع وشراء، ولما كانت الوراقة والكتابة والنسخ، أحد أهم عوامل الفكر والثقافة والمعرفة، وهي الوسيلة الوحيدة تقريبا في الوعي والإدراك والتزود بالثقافة، فقد اختارت الدولة لتلك الأماكن أفضلها، وأوسطها، حتي يتمكن أكبر عدد ممكن من رواد تلك الأسواق، الوصول إليها في سلاسة ويسر.

وقبل الحديث عن بعض الوراقين في العصر المملوكي، ينبغي أولا أن نشير لبعض النقاط المهمة:

أولها: مكان سوق الوراقين ومكانته .

وثانيها: موقف الدولة تجاه مهنة الوراقة .

ثالثا: نماذج لبعض الوراقين في عصر سلاطين المماليك.

أولا: سوق الوراقين جغرافيا ومكانته بين الأسواق الأخرى.

من خصائص الدولة المملوكية وحتى من سبقها من الدول، أن جاءت حاراتها ودروبها، وشوارعها وأزقتها، على اعتبار العصبية القبلية، أو المهنة والصنعة، وبعضها كان تخليدا لبعض الشخصيات البارزة، والفاعلة في المجتمع.

من ذلك مثلا: شارع السيوفية[1] وهي مهنة من المهن البارزة في عصر الدولة الإسلامية، ...

---

١ أحد أقدم الشوارع في تلك المنطقة، عرف قديما باسم البندقدارية، وقد حدد موقعه المقريزي ما بين حدرة البقر(إحدى البقاع القديمة خارج باب زويله أنشأها الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١ هـ / ١٣٤١م) اسطبلا للأبقار السلطانية، المخصصة للعمل بالسواقي الملكية، وهي نقطة قريبة من شارع المظفر) والحلمية (بركة الفيل سابقا) ومن أشهر الأثار بها : مدرسة أق سنقر السعدي (٧١٥ هـ / ١٣٢١م)رقم الأثر:٢٦٣ . وقصر الأمير طاز (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢م) أثر رقم ،٢٦٧ وقد عرف هذا الشارع بهذا الاسم نظرا لورش السيوف والأسلحة التى كانت منتشرة به، وهناك شارع أخر ذكره المقريزي باسم السيوفيين غير هذا المكان . للمزيد راجع المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، جـ٤/١٥٤. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ، جـ ١٣٤/٣. جـ٢٩١/٤.

والسروجية[١] والركبية[٢] والخيامية[٣]،...

١ إحدى الحارات القديمة، خارج باب زويلة، والتى مرت بمسميات عده إلى أن انتهت بإحدى المهن والصناعات التى اشتهرت بها الا وهي مهنة صناعة السروج، (رحل يوضع علي ظهر الدابة، ويسمي بائعها وصانعها بالسروجي)، كانت بالقرب من حارة الهلالية خارج باب زويلة، وبها العديد من الأثار منها، سبيل قايتباي(مندثر) ، التكية السليمانية (٩٢٠هـ/١٥٤٣م) أثر رقم ٢٢٥ ، وقد اشار علي مبارك لهذا الشارع في خططه فقال: أوله من شارع الدوادية وأخره شارع الحلمية عند تقاطعه مع شارع محمد علي(القلعة) عند حمام الدود، وبهذا الشارع كذلك مسجد الأمير جانم البهلوان (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) أثر رقم ١٢٨. للمزيد راجع : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت: جـ ٦/ ٢١٠ ۞ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الناشر: دار الجيل بيروت: جـ ١/ ٥٤٧ ۞ علي مبارك، علي بن مبارك بن سليمان الروجي(١٣١١هـ/١٨٩٣م): الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، المطابع الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى، ١٣٠٦هـ، جـ٢/ ٣٥

٢ إحدى حارات القاهرة، تناولها علي مبارك في خططه، يبدأ من عند سبيل أم عباس بالصليبة وينتهي بأول شارع الخليفة، والركاب هي الرواحل من الإبل، وهو كذلك اسم لما يوضع فيه رجل الفارس أو الراكب، ويبدو أن تلك المنطقة اشتهرت بصناعة السروج ورواحل الدواب والخيام لقربها من الخيامية وغيرها . للمزيد الزبيدي : تاج العروس، مادة ركب، ٢/ ٥٢٤. رينهارت : تكملة المعاجم العربية ، مادة ركب، ٥/ ٢٠٢. علي مبارك الخطط، ٢/ ٥٩.

٣ أحد المناطق القديمة، خارج باب زويلة، نوه عنها المقريزي، عند حديثه عن الدار القردمية، عند ترجمته للجاي(olcay ،لفظ تركي يعني، إقبال أو طالع) الدودار (حامل دواة السلطان)، المتوفى (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) ، كما نوه لها في خططه وقال أنها بخط الموازيين (لعلها إشارة إلى حرفة كما إنها اسم لعائلة مشهورة)، وتحدث عن تلك الدار وما آلت إليه، كما أشار إليها عند الحديث عن المدرسة المحمودية (جامع الكردي) (٧٩٧ هـ / ١٣٩٥م) أثر رقم ١١٧، وقال إنها كانت من جملة حارة المنصورة (السودان)، كما ذكرها علي مبارك باسماء عده، منها قصبة رضوان نسبة لرضوان بك أحد أمراء المماليك الفقارية المتوفي=

وسوق السلاح[1]، حارة برجوان[2]،...

=سنة (١٠٦٥هـ١٦٥٥م) والذى سكن تلك الدار، ولعلها هي مخزن الأخشاب الحالي المواجه لجامع الكردي، كما عرفت بالمغربلين، والخيامية، ولاتزال تلك المهنة موجوده إلى الأن بتلك المنطقة، وقد قمت بتصوير تلك المنطقة عندما احترقت في غضون عام ٢٠١٢م تقريبا وقمت بتصويرها قبل وبعد الحريق، وسارفق بعض الصور في ملحق الصور في نهاية البحث، والخلاصة إن تلك المنطقة مرت بمسميات عده في مختلف العصور والأزمان . المقريزي: المقفي الكبير،تحقيق أحمد اليعلاوي.
الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، جـ٢/١٥٨. الخطط، ٣/١٢٣؛ ٤/٢٥١ . علي مبارك : الخطط التوفيقية، ٢/٣٣. محمد كمال السيد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، صـ ٣٨٠ .

١ اسم لأماكن عده، ذكره ياقوت في معجمه وقال: محلة ببغداد، وذكره المقريزي في معرض حديثه عن شوارع مصر ودروبها فقال: هذا السوق ما بين المدرسة الظاهرية، وباب قصر بشتاك، استجد فيما بعد الدولة الفاطمية، وخصص لبيع بعض الأسلحة كالقسى والنشاب، والزرديات، وغيرها من أنواع السلاح ، وقد تغير مكان هذا الشارع من عصر المقريزي إلى عصر علي مبارك، حيث ذكره علي مبارك لكن في موضع أخر غير الذى حدده المقريزي، فالمقريزي جعله من مدرسة الظاهر بيبرس وحتي باب قصر بشتاك، في منطقة بين القصرين بشمال القاهرة الفاطمية بشارع المعز الحالي بالقرب من مدرسة برقوق وبقايا قصر بشتاك والمدرسة الصالحية ومجموعة قلاوون، أما علي مبارك فذكرة في جنوب القاهرة الفاطمية خارج باب زويله، حيث قال: أوله من نهاية شارع سويقة العزى، ونهايته شارع محمد علي(القلعة) . للمزيد راجع ياقوت: معجم البلدان، ٣/٢٨٤. الخطط المقريزية، ٣/١٧٦. الخطط التوفيقية، ٢/١٠٥.

٢ ذكرها ابن عبد الظاهر فقال: تعرف بهذا الاسم، نسبة لبرجوان الخادم، أحد خدام القصر الفاطمي في أيام العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٦-٩٩٦م) ومدبر دولة الحاكم بأمر الله (٣٦٨-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢١م) وقد بلغ برجوان مبلغا عظيما من الترف والمال والشهرة، جعل التاريخ يخلد ذكره على واحد من أهم شوارع القاهرة الفاطمية بعد مقتله علي يد الحاكم في سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م . ولا تزال تلك الحارة بابها المصنوع في العصر العثماني باقية بجوار باب الفتوح في شمال القاهرة الفاطمية . للمزيد ابن عبد الظاهر، عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي، محيي الدين، أبو الفضل ابن رشيد الدين ت (٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، الروضة البهية في خطط القاهر المعزية، تحقيق أيمن فؤاد السيد، الدار العربية للكتاب، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، صـ ٦٣. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٨/١٧٤. الخطط المقريزية ٣/٦ .

وكتامة[١]، وغيرها.

ومن المسميات التى أطلقت علي بعض أسواق وشوارع وخطط القاهرة سوق الوراقين، وخط سوق الوراقين.

وقد نوه المقريزي على هذا المكان في خططه عند ذكر مكان عرف قديما بدرب الحبيشي [٢]،هذا الدرب على يمنة من سلك من خط الزراكشة [٣] العتيق طالبا سوق الأبّارين[٤]، وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخان منجك،[٥] أصله

١ أحد الحارات القديمة قال عنها ابن عبد الظاهر، عرفت هذه الحارة بهم (أي الكتاميين) وهي قبيلة معروفة، وقال القلقشندي: على مقربة من الجامع الأزهر، بجوار حارة الباطلية، تعرف بقبيلة كتامة، القادمين من البربر صحبة جوهر الصقلبي، وقد ذكر المقريزي أنهم أصل دولة الفاطميين في مصر. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ٤٢. القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٠٣/٣. المقريزي: الخطط، ٢٠/٣.

٢ الأمير سيف الدين بلبان الحبيشي، لم أعثر له على ترجمة .

٣ زركش، أي رقش أو وشى أو زين الثوب بالفضة أو بالأحجار الكريمة ، وخط الزراكشة أحد الأخطاط القديمة في شمال القاهرة الفاطمية حدد المقريزي ما بين باب الديلم والخوخ السبع، ولا يزال هناك خان في شارع الأزهر يعرف بخان الزراكشة. المقريزي: الخطط، ٢٠٦/٢.. رينهارت : تكملة المعاجم العربية، جـ٥/٣١٥.

٤ الأبارين جمع أباري، وهو صانع إبر الخياطه او الحياكة، عرف هذا المكان في زمن الدولة الفاطمية، بالسبع خوخ، وكان عبارة عن خوخ سبعة يتوصل منها إلى الجامع الأزهر، فلما زالت الدولة الفاطمية صار هذا المكان سوقا للإبر فعرف بهذا الإسم. المقريزي: الخطط، جـ ٣ /٦٧.

٥ ينسب هذا الخان إلى الأمير منجك اليوسفي السلحدار نائب السلطنة، المتوفي سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) ، كان من الأمراء المعدودين ذوي الهيبة والحشمة في دولة سلاطين المماليك تنقل في العديد من الرتب والمناصب، منها نيابة طرابلس مرّتين، وولي نيابة حلب، ودمشق، والوزارة بمصر وله العديد من الأثار بمصر والشام منها: مسجد منجك اليوسفي: (٧٥٠هـ- ١٣٤٩)، بالحطابة أسفل قلعة الجبل اثر (١٣٨) . للمزيد المقريزي: الخطط، جـ ٤ / ٣٨٣. ابن شاهين نيل الأمل في ذيل الدول، جـ٢/٩٢.

من جملة القصر النافعي، وكان يعرف بخط القصر النافعي، ثم عرف بخط سوق الوراقين.[١].

وكان هذا القصر مخصصا للعجائز من الفاطميين، وكانت بداية نشأته مع بدايات الدولة الفاطمية [٢] وموضع هذا القصر في مكان بالقرب من التربة المعزية، ناحية باب الفرج، وهو الباب الجنوبي لجامع سيدنا الحسين رضي الله عنه وحتى شارع السكة الجديدة، وما يقابل هذا الفضاء من المباني الواقعة غرب السكة الجديدة، وحتى خان الخليلي [٣]، أي أن تلك المنطقة كانت كلها من حقوق هذا القصر، الذى تحول فيما بعد لسوق الوراقين، والعجيب في الأمر، أن هذا المكان قد شهد قبل ذلك ما عرف قديما بدار العلم، والذى أشار إليها ابن عبد الظاهر بقوله:

رأيت في بعض كتب الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من القصر النافعيّ، وكانت عامرة بالعلم والكتب والنساخ، وما يتعلق بهم طوال سني حكم الفواطم[٤].

ومن الجدير بالذكر أن سوق الوراقة شغل حيزا كبيرا ومهما في قلب القاهرة، وفي أكثر الأحياء حركة، كما أنه اختار أكثر الاماكن رقيا وثراء، فنراه بالقرب من المشهد الحسيني والجامع الأزهر، ومجموعة الغوري الحالية، وكلها مناطق كانت معروفة بالثراء الثقافي والتجاري والفكري، فأسواق الحريرين، والفاكهيين، والصاغة حيث تجار الذهب والأحجار الكريمة، وكذا قربها من المشهد الحسيني والجامع الأزهر، ومجموعة المنصور قلاوون ، وغيرها من المدارس الفكرية والثقافية، التي تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن اختيار أماكن تلك الأسواق تم اختياره بعناية ودقة، ولم يكن متروكا للظروف والأهواء.

---

١ الخطط المقريزية، ٣/٧٦.

٢ القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/٣٩٦.

٣ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين ، جـ ٤/٥١، حاشية ٣.

٤ الروضة البهية: ٣٣

اضف لذلك أن حوانيت الوراقين، لم تقتصر علي أسواق خصصت لها وحسب، بل وجدت ملحقة بأسواق أخرى، فعند حديث المقريزي عن سوق المرحلين[١] في القاهرة قال: إن تلك السوق من أعمر أسواق القاهرة، وهو عبارة عن صفين من الحوانيت العامرة، فيها جميع ما يُحتاج إليه من في تجهيز الجمال، وملحق بهذا السوق زقاق يعرف بزقاق الوراقة[٢].

ومن خلال ما تقدم يمكن أن القول : إن سوق الوراقة كان يحتل المراكز الحيوية في قلب القاهرة المملوكية، فهو يمتد من مكان بالقرب من المشهد لحسيني، ومدرسة الأشرف برسباي (٨٢٩ هـ / ١٤٢٥م) أثر قم (١٧٥) قاطعا شارع جوهر القائد، ماراً بمجموعة الغوري في نقطة بالقرب من الجامع الأزهر.

وقد جاءت العديد من النصوص التى حصرت سوق الوراقين في القاهرة في تلك المناطق منها ما نوهت إليه ومنها كذلك ما ذكره بعضهم عن وجود حوانيت وسويقات للوراقين بجوار الجامع الأزهر، أكبر جامعة علمية عالمية في العالم الإسلامي في تلك الفترة.

فعند ترجمة المقريزي لابن الأثير البنان[٣] ذكر قصة وفاته وذكر فيها: " ثمّ إنّه عاد إلى القاهرة وصار في ضنك من العيش، وغلبه دين كبير وعجز عن

---

١ أحد أسواق القاهرة القديمة، التي ذكرها المقريزي وحدد موضعها عند رأس حارة بهاء الدين (بباب الشعرية حاليا) حتي شمال المدرسة الصيرمية قرب باب الفتوح وجامع الحاكم بأمر الله . أي أن هذا السوق كان يمتد في المسافة الواقعة بين باب الشعرية وباب الفتوح . للمزيد راجع الخطط المقريزية، ١٧٣/٣.

٢ الخطط ٢٣٠/٢.

٣ محمد بن محمد بن محمد بن بنان الأنباري كاتب الإنشاء ذو الرئاستين أحد أشهر وراقي زمانه وأحد أفضل كتاب عصره، مصري المولد والنشأة والوفاة، وأصله من الأنبار؛ قرأ الأدب وسمع الحديث، وكان شيخاً جليلاً مهيباً عالماً أديباً كاملاً بليغاً، يكتب الخط الحسن، كتب لكبار ملوك عصره، وتقلب عليه الدهر بأفراحه وأتراحه، ولد بالقاهرة سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م، حفظ القرآن صغيراً، وكان من بيت علم ورئاسة فابوه كان قاضيا، ولي ديوان=

نفقته، إلى أن حبس بالجامع الأزهر على الدين. وكان ينتقص القاضي الفاضل ويراه بالعين الأولى ويحدّث الناس بأنّه كان من أقلّ أتباعه، والفاضل مقصر عنه، فيقصر الناس في حقّه مراعاة ورياء للقاضي الفاضل. وكان بعض أصحاب الدين رجلا أعجميّا أحمق كثير الشرّ فصعد إليه بسطح الجامع الأعظم وسفه عليه وقبض على لحيته وضربه، ففرّ من بين يديه وألقى بنفسه من سطوح الجامع إلى سطوح دكاكين الورّاقين، وكانت يومئذ بجانب الجامع، فتهشّم. وحمل إلى داره فبقي أيّاما ومات" [1]

ويفهم من هذا النص أن قصبة القاهرة كانت تعج بحوانيت الوراقين، وأن الأزهر لم يفقد دوره العلمي والثقافي والتنويري، بدليل وجود تلك الحوانيت بجوار الأزهر في العصر المملوكي.

وقد خلف لنا المقريزي نصا عن سوق الكتب وحيزه الجغرافي، يوضح لنا من خلاله التغيرات التي طرأت عليه من الناحية المكانية، ودلالة هذا التحول.

فيقول: عند معرض حديثه عن سوق الكتبيين، أن موضع هذا السوق (زمن المقريزي) ما بين الصاغة ومدرسة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) أثر رقم (٣٨) استحدث هذا السوق بعد سنة سبعمائة من الهجرة (٧٠٠ هـ / ١٣٠١م)، وكان موضعه قبل ذلك بجوار جامع عمرو بن العاص من الناحية

=النظر في حكم الدولة الفاطمية، كما تقلب في المناصب في أيام الدولة الصالحية ،وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني يمتدحه، ويفخر بالوصول إليه والمثول بين يديه، من مؤلفاته تفسير القرآن المجيد، والمنظوم والمنثور، وغيرهما وقد استدار له الزمان وتقلبت أحواله وانتهي به الأمر إلى إفلاسه وكثرة ديونه، ومات مقتولا من فوق سطح الجامع الأزهر في سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠م . للمزيد تاريخ بغداد وذيوله، ١٥ / ٦٧. الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى

الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، جـ٢١٦/١. المقريزي المقفي، ٨٥/٧

١ المقريزي : المقفي الكبير، ٧/ ٨٦ .

الشرقية فيما عرف بزقاق القناديل[١]، وقد تم نقل السوق من مكانه برهة بجوار الجامع الأقمر، إلى قيسارية في سوق الدجاجين[٢] في المساحة الممتدة بينها وبين سوق الحصريين[٣] بجوار الركن المخلق[٤]، وقد تضررت تلك القيسارية،

١ أحد أهم شوارع الفسطاط القديمة، فقد سكنت وشرفت بالاعيان والكتاب وكبار الساسة والأشراف، وقد عرف هذا الزقاق قديما باسم زقاق الأشراف، ذلك لسكن عمرو بن العاص ﷺ (٤٣-٦٤٤م)، وكعب بن يسار رضي الله عنه(صحابي شهد فتح مصر وولي القضاء بها ولم يعثر له علي تاريخ وفاة. انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٣٢٦/٣، ابن الأثير، اسد الغابة، ١٩٠/٤) و زكريا بن الجهم، (أحد الصحابة القادمين في جيش عمرو لم أعثر له على ترجمة) وغيرهم من الأشراف ولذا عرف بزقاق الأشراف، وزقاق القناديل، وقد وصفه المقدسي فقال: زقاق القناديل وما يدريك ما زقاق القناديل، ولعله عرف بهذا الاسم لكثرة الاعلام المضية التي كانت بمثابة القناديل والنجوم الزاهر، فقد شهد تشريف العديد من العلماء والمفكرين وكبار الرجال البارزين في تاريخ وحضارة الأمة مثل الإمام النسائي، وغيره . للمزيد المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر،- مكتبة مدبولي القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١،جـ١/١٩٩. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، الناشر: دار الغرب الإسلامي
عام النشر: ١٩٩٢ م،جـ ٦٠٤/٢. ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٧٢/٧١ . ياقوت: معجم البلدان، ١٤٥/٣.

٢ أحد أسواق القاهرة القديمة، كان بجوار الجامع الأقمر قرب الخرنشف، كان يباع فيه العديد من أنواع الطيور المتنوعة والمتعدده والغريبة، وقد ذكر المقريزي أن ثمة قيسارية كانت بهذا السوق اتخذت سوقا للكتبيين برهة من الزمان، ومكان هذا السوق الآن بجوار الجامع الأقمر، وبها العديد من الحوانيت لبيع النارجلية ولوازم المقاهي. للمزيد، الخطط المقريزية، ١٧٦/٣. جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٢١٤

٣ أحد أسواق القاهرة القديمة، وكان خاصا بتجارة الحصر وما يتعلق بها .

٤ الركن المخلق، أو دير العظام، والعامة تسميه بئر العظمه، من حقوق القصر الفاطمي، وبتلك المنطقة معبد موسي بن عمران (بحارة اليهود الآن)، وقد حدد المقريزي موضعة في مواجهة ميضأة الجامع الأقمر . للمزيد الخطط ، ٢٨٤/٢.

فأعيد مرة ثانية، لموضعه ما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، وقد كان هذا السوق بمثابة مجمعا علميا لأرباب الفكر والثقافة [١] .

ويستفاد من هذا النص عدة أمور:

١- أن موضع سوق الكتب والوراقة ارتبط بداية الأمر قبل عصر المماليك بفسطاط عمرو المدينة السكنية، وتم اختيار موضعه بعناية في أشرف بقاع الفسطاط، مما يدل على مدى عظم وشرف تلك المهنة.

٢- مع تحول مركز الثقل السياسي، تم تحول سوق الكتب من الفسطاط إلى المكان الذى ارتبطت به مراكز الحكم والقيادة، مثل القطائع والعسكر، ثم القاهرة في قصبة القاهرة الفاطمية، بالقرب من القصر الفاطمي والجامع الأزهر، أكبر منارة علمية وفكرية في العالم الإسلامي، وهذا لايمنع أن حوانيت الوراقين، وأسواق الكتب لا زالت منتشرة وموجودة في مصر القديمة، لا سيما في العصر الفاطمي، فمع بروز دولة الشيعة داخل القاهرة العبيدية، نشطت حركة الفكر والثقافة السنية كرد فعل طبيعي في مصر القديمة بجوار جامع عمرو وجامع بن طولون.

٣- أن حركة البيع والشراء والنسخ والكتابة والوراقة، كانت مرتبطة بالجامع الأزهر، لاسيما مع اعادة فتحه في العصر المملوكي مرة ثانية.

٤- أن القاهرة الأيوبية شهدت رواجا لحركة الوراقة ارتبط في المنطقة القريبة من المدارس الأيوبية كالخانقاة الصلاحية (دار سعيد السعداء) ، والمدرسة الكاملية، والصالحية والقمحية وغيرها من المدارس، التي ارتكزت في قصبة القاهرة ومن ثم، نشطت حركة الوراقة في تلك الوراقة، لا سيما وأن صلاح الدين وصل القاهرة بعواصم مصر الثلاث السابقة، وأصبحت القاهرة، ومصر العتيقة كيانا واحداً.

---

١ الخطط المقريزية، ١٨٥/٣

٥- إن إنشاء سوق الكتب في تلك المنطقة بالغة الأهمية، وبالكيفية، التي جعلت من أسواق الوراقة في مصر مضربا للمثل في العالم، حيث حدث لمصر نقلة نوعية، نافست بها بغداد ودمشق، ومدن المشرق، والمغرب والأندلس بدأ بعد عام سبعمائة من الهجرة، ولعل هذا يعود لعدد من الاعتبارات.

أ- وجود رجل من طراز فريد علي رأس النظام الحاكم، الا وهو الناصر محمد بن قلاوون ت(٧٤١ هـ / ١٣٤١م) وعند مطالعة سيرة الناصر يتضح لنا مدى حبه للفكر والثقافة والعمارة والفنون، وليس أدل على ذلك كثرة المنشآت والمشاريع المعمارية والفكرية والثقافية التي قام بها.

ب- أن تلك الفترة شهدت العديد من الهجرات الفكرية والثقافية، من مشرق العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد،(٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) هذا التوافد الذى غير في الخريطة الثقافية والفكرية والفنية لمصر المملوكية.

جـ - أن عام سبعمائة وما بعده حدث هجوم ومناوشات من التتار علي بلاد الشام والجزيرة الفراتية، حتي أن بعض المؤرخين سماه بعام الجفل[١][٢]، ومما

---

١ في اللغة أنجفل الليل أي ذهب، والجفل الذهاب بسرعة أو على وجل، والجافل المنزعج، والجفل هو الخوف والفزع . ابن منظور: لسان العرب، جـ١١/١١٤. رينهارت : تكملة المعاجم، جـ٢/٢٣١. وعن عام الجفل تاريخيا راجع. أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، مجموعة من المحققين، الناشر: عيسى البابي الحلبي، جـ٩/ ٤٥. ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٤/٢٢.

٢ عن تلك الحوادث راجع . أبو الفداء، بو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، ط١

جـ ٤/٦٤ الذهبي تاريخ الإسلام، ١٥/٧١٧ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ): أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، وآخرون الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م جـ ٢/٤٠١ .

لا شك أن هذا أحدث طفرة في توافد المشارقة والشوام على مصر مما جعل الناصر يقوم بعمل سوق ضخم، ومنظم للوراقة والكتب، في المكان المذكور .

وقد ظل هذا المكان، هو سوق الكتب الرسمية طوال سني حكم المماليك، ففي حوادث سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩م، تم هدم بعض الحوانيت في سوق الصيارف وسوق الكتبيين، وغيرهما لتجديد عمارتها، فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، وهي جارية في وقف، المارستان[١] المنصوري [٢].

ويستفاد من هذا النص عدة أمور منها:

١- أن سوق الكتب ظل يشغل حيزا فيما بين، سوق الصاغة ومدرسة الصالح نجم الدين أيوب طوال فترة حكم المماليك.

٢- أن تجارة الكتب، تجارة تنظمها الدولة، وتشرف عليها، وتتولى رعايتها، وتنظيمها، بدليل أن سوق الكتب كان جزأ من الأوقاف علي مارستان المنصور قلاوون .

وعليه يمكن القول: إن أسواق الوراقين وحوانيتهم في مصر المملوكية، ارتبطت بالجامع الأزهر، الذى أصبح ملاذا وملجأ لكل أهل مصر من أقصاها إلى أقصاها، فتحول إليه أهل بحري كلهم، وأهل الصعيد، وقاطني مصر العتيقة، ورواد مسجد عمرو والجامع الطولوني، وعليه فكان الأنسب والأصلح أن تكون أسواق الوراقة وحوانيت الوراقين، في تلك المنطقة العامرة، التي يفد إليها الناس طلبا للعلم، من كل أنحاء العالم، ليس هذا فحسب، فتلك المنطقة كانت بمثابة

---

١ المارستان أو البيمارستان : كلمة فارسية معربة مكونة من مقطعين، بيمار بمعنى مرضى، وستان بمعنى مكان، وتعنى المستشفى أو دار المرضى، ويقال أن أول من أتخذ المارستانات في الشام الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م)، وفي مصر أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م)، وأقدم مارستان في مصر هو المارستان الطولوني، أنشأه أحمد بن طولون سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٣ م)، . القلقشندي: صبح الأعشى، ١/٤٩١. ٣/ ٣٩٢.

٢ المقريزي: السلوك، ٧/١٩٣.

مجمع علمي، ضخم شمل العديد من المدارس والخانقوات والمعاهد العلمية والمكتبات العامة والخاصة، بالإضافة لقرب تلك المنطقة، من بابي الفتوح والنصر في شمال القاهرة المعزية، وهي المنطقة التي يفد إليها الشوام والمشارقة والمغاربة وغيرهم لشراء لوازم الحج من سوق المرحليين، وغيرها من اللوازم في سوق باب الفتوح، وسوق الشارع الأعظم، وسويقة أمير الجيوش، وغيرها من الأسواق التي اشتملت علي حوانيت للوراقين، لبيع الكتب، وشراءها، وتبادلها، ومقايضتها، وحوانيت للنسخ، وكتابة المظالم والخطابات والمكاتبات، فلم تقتصر مهنة الوراقة، علي مجرد البيع والشراء والنسخ وحسب، كما بينت سابقا، إنما تعدتها لكل ما يتعلق بمادة كتب يكتب كتابة.

كما أن وجود السوق في تلك المنطقة المشار إليها لا يمنع وجود أسواق أخرى، في ظواهر القاهرة خصوصا الظاهر الجنوبي الذى نشط نشاطا بالغا في عصر الناصر محمد بن قلاوون، لا سيما بعد تحكير بركة الفيل (الحلمية الجديدة) وبناء العمائر خارج باب زويلة يمنة ويسرة من باب زويلة وحتى الخليج المصري (شارع بورسعيد) ومن زويلة وحتى قلعة الجبل ، ومن زويلة وحتي بركة الفيل، بالإضافة لوجود حوانيت وأسواق قديمة، في مصر العتيقة، وأقاليم مصر، في الوجه البحري والصعيد والاسكندرية، وغيرها ، لكن لم تكن بشهرة سوق القاهرة، الذى ارتبط كما قلت بوجود الجامع الأزهر .

وقد ظلت تلك المنطقة عامرة بالكتب، والوراقين طوال فترة حكم المماليك كما ذكرت فقد ذكر السخاوي في كتابه وجيز الكلام في حوادث سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩١م . أُمسك بمن بالربع المتوسط بين الكتبيين وخان الخليلي، من النساء وكان عدتهن عشرون أمرأه اشتهرن بفعل أفعال منافية للآداب، وكان بذلك

بأمر من قاضي الحنابلة، وذلك لمقابلة هذا الربع لباب قاعته التي يدرس فيها بمدرسة الصالح نجم الدين أيوب [1]

ويستفاد من هذا أن سوق الكتب ظل يشغل تلك المنطقة طوال فترة حكم المماليك.

ننتقل الآن إلى الحديث عن بعض النقاط الملحة عن حركة الوراقة في العصر المملوكي

١- مكانة مهنة الوراقة .

٢- تنظيم أسواق الوراقة وإشراف الدولة عليها .

٣- العوامل التي ساعدت علي رواج مهنة الوراقة في العصر المملوكي.

٤- نماذج لبعض الوراقين .

أولا: مكانة مهنة الوراقة :

إن مهنة الوراقة ومطالعة الكتب، والعمل بها بيعا وشراء وهبة ونسخا وتزويقا وتذهيبا وتجليدا وإلى ما غير ذلك من أعظم المهن وأشرفها وآجلها قدرا ورفعة، لما لا وقد تعلقت بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ منذ اللحظات الأولى، فقد كان الأمر الأول والإشارة الأولى لرسول الله ﷺ، أقرأ، وعليه فكان الاهتمام بأمر الكتابة والعلم وما يتعلق بهما على رأس أولويات الحضارة الإسلامية منذ بزوغ فجرها وحتى الآن.

وعليه فلم تكن حوانيت الوارقين وأسواق الكتبيين مجرد معارض لعرض سلعة وفقط، بل كانت نوادي فكرية ومعاهد علمية، ومنتديات ثقافية، حوت في باطنها العديد من المفكرين والمثقفين والشعراء والأدباء، ولله در القائل.

---

١ محمد بن عبد الرحمن السخاوي(شمس الدين): ت (٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) وجيز الكلام في في الذيل علي دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة ، جـ١١٧٩/٣.

مجالسة السوق مذمومة ... ومنها مجالس قد تحتسب
فلا تقربنّ غير سوق الجياد ... وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى ... وهاتيك آلة أهل الأدب [1]

وعليه فقد ساهمت سوق الوراقين وحوانيتهم ومنتدياتهم في اثراء الحياة الفكرية والحضارية في العصر المملوكي في مصر والشام والعالم الإسلامي أجمع .

ولك أن تتخيل أن رجلا بقدر ابن مقلة (٣٢٨ هـ/٩٤٠م) الوزير العباسي المشهور، والكاتب البارع رسول الخط كما أطلق عليه الكثير، كان وراقا، وأن رجلا بحجم ياقوت الحموي كان وراقا، وأن المؤرخ المشهور الصفدي كان وراقا، ليس هذا فحسب، بل كانت الوراقة من المهن الرائجة والمربحة لشاغليها، ماديا ومعنويا، ومن بين هؤلاء الذين تربحوا، عز الدين بن العجمي، عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عبد الرحيم الكاتب، كان من أجود الكتاب في زمانه، ولم تكن له مهنة يتربح منها سوى تجارة الكتب، وأعمال الوراقة، أسهب الصفدي في تعديد مآثره، وتناول مناقبه، فقال: شيخ كتابه، ورب ذكاء ومهابة، رحل إلى القاهرة، وأهلها في ذك العصر يفاخرون بالمكارم النجوم الزاهرة، فانقطع في بيت بحارة برجوان [2]، وأرخى على بابه

١ الخطط المقريزية، ١٨٥/٣.

٢ إحدى الحارات المهمة في مصر الإسلامية، وقد تم التنويه عنها سابقا، وكانت سكنا لكبار الساسة والمفكرين حتي زمن ليس ببعيد، ولعل اختياره لتلك الحارة، لما اتسمت به من فخامة ورقي وهدوء، وكذا لقربها من سوق الكتب، والجامع الأزهر، والمشهد الحسيني، وقصبة القاهرة الفاطمية.

ستارة أرجوان، وتردد الناس إليه، وأقبلو بخواطرهم عليه، فنفقت سوقه [١]، ومشت وما وقفت سوقه، وراج وأذكى السراج[٢]، وجبى ما وجب له من الإتاوة والخراج. وكان يجلس في كل سوق حيث تباع المجلدات والدفاتر، التي فيها دواوين العلوم مخلدات، فيشتري منها القشات [٣] وما يمتري [٤]، ويقع له فيها مخاريم [٥] من صحاح الجوهري، فيكملها بخطه ويناسب، ويأخذ فيها مع ما يترجمه عليها ما شاء من المكاسب، وكان يشد الكتب أحمالاً أجمالاً، ويسير بها إلى حلب أجمالاً أحمالاً، وحصل من ذلك جملاً، وأوفر من فوائدها جملاً، ولم يزل على حاله إلى أن أخذه الموت في قشه، وجعل التراب فرشه. وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، (٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م)[٦]

وعليه فإن ابن العجمي كان يستغل حسن خطه، وقدرته علي تقليد الخطوط، ويضيف للكتب ما ضاع منها من حروف ومعاني، بناء علي قريحته اللغوية، وخبرته في مجال الفنون والأدب، ويبيعها علي أنها نفائس وكنوز تعرض لأول مرة، ويحملها إلى حلب بدمشق للتكسب منها، ولعل من أهم ما يؤخذ من نص الصفدي، هو رواج أسواق الوراقة ومردودها المادي والمعنوي على أصحابها.

---

١ نفق البيع، أي كثر طلابه، وتقول نفق سوقه أي رجت تجارته وما كسدت، وهو تعبير علي الإقبال عليه. راجع الزبيدي: تاج العروس، مادة نفق، ٤٣٦/٢٦

٢ أي أناره وأشعله، وهو دليل على شهرته وذيوع صيته .

٣ القش معناه رديء التمر وما يكنس من البيت، ولعله هنا يقصد التقشيش تقول قششت الشيء إذا جمعته، وفيه إشارة إلى النهم في جمع الكتب واقتناء ما يستيطع . انظر الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) :، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، مادة قش، ٦/٥ .

٤ ما يكون فيه موضع شك أو جدل .

٥ أي أجزاء مقطوعة أو منقوصة بفعل القرضة أو عوامل الجو والتعرية أو لقدم المخطوط.

٦ الصفدي: اعيان العصر، ١٨١/٣.

ومن الأدلة على أن تلك المهنة كانت تعود بالفضل على أصحابها، وأن هناك منهم من تقلد أرقى المناصب كالحسبة والقضاء وغيرهما من الأعمال المتصلة بالنظام الحاكم.

وجود العديد من الأسماء الشهيرة والنماذج المتعددة التي تربحت من مهنة الوراقة ماديا ومعنويا، ومن بين هؤلاء، محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري المعروف بالوطواط، ولد بمصر المحروسة (٦٣٢ هـ/١٢٣٥م)، كان من كبار الأدباء والكتاب، قال عنه الصفدي: "ألف وجمع، وصنف فأبرق ولمع. وكان نثره جيدا، وطبعه عن النظم متحيدا، لم يقدر ينظم البيت الواحد، ولو لحده اللاحد، وينثر جيداً ما شاء، ويتقن في هذا الفن الإنشاء، وكانت له معرفة بالكتب وقيمتها، ودربة بوجودها وعدمها، وله فهم وذوق ومعرفة، وفضل يد له في مجاميعه على ما يريد أن يورده أو يصرفه، تدل تواليفه على ذلك، وتشهد له بحسن السلوك في تلك المسالك، وكان يرتزق بالوراقة، ويجمع في أثنائه ما راقه. ولم يزل على ذلك إلى أن بلغت حياته غايتها، وتناولت وفاته رايتها"[١] وقد توفي رحمه الله سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨م[٢].

وهناك العديد من الأمثلة والنماذج التي تؤكد على شرف وسمو تلك المهنة، نذكر منهم إجمالا وعلي سبيل المثال لا الحصر، ابن أيبك الدواداري صاحب صرخد، أحد كبار المؤرخين في زمانه، وكانت له معرفة بالوراقة وما يتعلق بها والنسخ والكتابة، ومن مؤلفاته الشهيرة كتاب كنز الدرر[٣] وابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي، صلاح الدين: مؤرخ باحث، عارف بالادب، ولد في داريا (من قرى دمشق) ونشأ وتوفي بدمشق. كان فقيرا جدا، واشتغل بتجارة الكتب، فربح منها مالا طائلا.

---

١ أعيان العصر، ٢٠٢/٤.

٢ المقريزي: المقفي الكبير، ٤١/٥ .

٣ للمزيد راجع كنز الدرر، ١/١، ٤٠٢.

وهو صاحب (فوات الوفيات) و (عيون التواريخ) ست مجلدات[١] وغيرهما من كبار الوراقين .

شكل أسواق الوراقة وتنظيمها الإداري والسياسي

كانت أسواق الوراقة مثلها مثل أي سوق أخر، عبارة عن مساحة مستطيلة تشغل حيزا جغرافيا، وكانت الأسواق عادة في المدن الإسلامية، عبارة عن مساحة مستطيلة، مسقوفة

احيانا، وعلي جانبيها الحوانيت عن ذات اليمين والشمال، فقد ذكر الطبري عند بناء السوق قرب الكرخ[٢] أن بناءه كان صفوفا وبيوتا لكل صنف[٣] وقد وصف المقدسي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م، أسواق مصر، في العصر الفاطمي فهاله ضخامة الأسواق ولا سيما يوم الجمعة بالقرب من جامع عمرو بن العاص، الذى قال أن صفوف المتسوقين والحوانيت تمتد لأكثر من ألف ذراع [٤]

وقد ذكر ابن بطوطة مشهدا لسوق الوراقة في دمشق بالقرب من الجامع الأموي، يقول فيه:

" وفي الرحبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود: منها دكانان للشافعية، وسائرها لأصحاب المذاهب، يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول [٥] والعاقد للأنكحة من قبل القاضي، وسائر الشهود مفترقون في

---

١ الزركلي: الأعلام، ١٥٦/٦.

٢ كلمة غير عربية، والكارخ في اللغة هو الذى يسوق الماء إلى الأرض، وهي إحدى المدن القريبة من بغداد الحالية، وهي موضع سوق بغداد، وصفها ابن حبير بإنها مدينة مسورة بالقرب من بغداد. راجع معجم متن اللغة، ٤٣/٥ . ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، ط١، صـ ٢٠١ .

٣ تاريخ الطبري، ٦٥٣/٧.

٤ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ١٩٨.

٥ إحدى الوظائف التي وجدت في أسواق الوراقة وسأتحدث عنها لاحقا

المدينة، وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الورّاقين الذين يبيعون الكاغد والأقلام والمداد" [1]

وهنا نرى أن ابن بطوطه، وصف لنا محتويات سوق الوراقة، وبعض أصناف روادها، من باعة للقراطيس والأقلام والمداد، كما أنه لفت النظر إلى أمر في غاية الأهمية، الا وهو قرب أسواق الوراقة من المساجد والمعاهد العلمية الكبرى.

وعليه فإن سوق الوراقة كانت على شاكلة تلك الأسواق، مساحة مسقوفة أو لا، علي جانبها الحوانيت المعدة والمخصصة لكل ما يتعلق بالوراقة والنسخ والكتابة.

والآن نتعرف علي تنظيم الدولة لتلك الأسواق وأهم المهن والوظائف المشهورة في عالم الوراقين

مما لا شك فيه أن أسواق الوراقة، مثلها مثل سائر الأسواق، تخضع لرقابة الدولة ، والإشراف عليها وتنظيم شئونها وضبط أسعارها، بل إن شئت فقل أن ثمة علاقة قوية نشأت بين تلك الأسواق والنظام الحاكم، على اعتبار أن تلك الأسواق كانت المصدر الرئيس في إمداد مكتبات الحكام ومساجدهم ومدارسهم بما يحتاجون له من كتب نادرة ومخطوطات ووثائق مهمة وخطيرة.

وقد تنوعت المهن والوظائف، المتعلقة بمهنة الوراقة منها مثلا: وعلى رأسها مهنة المحتسب، ومهنة شيخ السوق، وشيخ الطائفة، والدلالين، بالإضافة إلى الكتاب، والنساخ، والمجلدين، والمذهبين وغيرهم.

١- المحتسب :

الحسبة في اللغة لها معان، منها الأجر و المقابل، تقول : أفعل هذا حسبة لله، أي ابتغي الأجر من الله، والحسبة من الحساب والعدد، ومنها قول الله

---

١ ابن بطوطه، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ) : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، أو رحلة ابن بطوطه، دار الشرق العربي،صـ٣١٠.

تعالى : ﴿ والله سريع الحساب﴾ [١] أي سريع الجزاء، وقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[٢] ومن أسماء يوم القيامة يوم الحساب، ومن معان الحساب كذلك، حسن التدبير ،[٣]

وقد أشار الماوردي إلى الحسبة وتعريفها فقال: " هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله" [٤] وقد جعل لها بعض الشروط، لست بصدد الحديث عنها الآن، ولعل من أهمها أن يكون عالما من أهل الاجتهاد، وأن لا يحمل الناس على رأيه، ولا يقودهم إلى مذهبه، ومن مهامه مراقبة الأسواق، وضبط المكاييل والموازين، وضبط الأسعار، والنظر في المظالم المتعلقة بالأسواق، من مطل أو تأخير دين، أو زيادة في السعر، أو بخس، أو تطفيف، أو غش وتدليس، وقد بوب الماوردي بابا كاملا لأحكام الحسبة وما يتعلق بها، [٥]

كذلك تناول النويري الحسبة، وحدد شروطاً لناظر الحسبة، أن يكون حراً عادلاً، صارما، نافذ الرأي، عالماً، مجتهداً[٦] وعليه نرى أن هناك اتصالا وثيقا بين عمل المحتسب والأسواق، ومنها بالطبع أسواق الوراقة والكتبيين، وقد نوه القلقشندي لوظيفة المحتسب وقال:

---

١ البقرة ٢٠٢

٢ يونس ٥

٣ الجوهري: الصحاح، مادة حسب، ١١٠/١.

٤ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة ،صـ٣٤٩.

٥ السابق، ٣٥٢

٦ نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٩١/٦ .

"وظيفة جليلة رفيعة الشأن، وموضوعها التحدّث في الأمر والنهي، والتحدّث على المعايش والصنائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته"[١]

ثم ذكر عدد من يتولى هذا المنصب الرفيع وأعلاهم وأرفعهم قدراً بالطبع هو محتسب القاهرة، فله جميع السلطات في القاهرة وضواحيها والوجه البحري كله ما عدا الإسكندرية فلها محتسب خاص بها، وهناك محتسب الفسطاط وله الوجه القبلي وهو أقل في الرتبة من محتسب القاهرة[٢] وبالطبع فإن لهذا المحتسب نواب، في القاهرة والأقاليم، وتقوم مهمة الوكلاء والنواب على تنفيذ أوامر المحتسب، وضبط المخالف، ولما كان من شروط المحتسب هو المعرفة أو الإلمام بنوع البضائع ومعرفة الرديء من الحسن، والمدلس من الجيد، كان على المحتسب أو من ينوب عنه أن يكون ملما بشيء من علم الوراقة، ومعرفة الجيد من القميء، ولكن لما كانت تلك الملكة من الملكات التى لا تكتسب بمجرد التمرس أو التعلم بل هي موهبة، وفن فكان من المتعثر علي المحتسبين ضبط جودة الكتب، ولعل دورهم اقتصر على الرقابة، والتسعير، وضبط العملية بين البائع والمشتري، وجباية أموال الدولة وحقوقها في تلك البضاعة، ففن الوراقة يختلف عن باقي السلع، من حيث الجودة والخصوصية. ولكن تبقي وظيفة المحتسب هي مراقبة السوق والتحكم فيه بمعاونة نوابه، ووكلائه، ولهم مقار مخصوصة، ولهم مطلق الحرية في المراقبة والإشراف في أي وقت [٣].

١ صبح الأعشى، ٣٨/٤.

٢ السابق، ٣٨/٤

٣ للمزيد راجع ،الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط٢/ ١٩٨٣م، جـ٢/٢٣٢.

شيخ السوق

الشيخ في العربية لها دلالات كثيرة، فهو يطلق على العالم المتمكن من علمه، ويطلق علي كبير المذهب، فيقال الشيخان عند الحنفية، وهما أبو حنيفة وأبو يوسف رضي الله عنهما، وهو كبير الصوفية، والشيخ هنا يقصد به كبير الصنعة والحرفة، والمسيطر عليها، وأحيانا يقال له نقيب المهنة[١].

وكان اختيار شيخ الحرفة أو الطائفة، يتم إما بالتعيين المباشر، أو عن طريق اختيار أصحاب الحرفة أنفسهم، وتلك الطريقة كانت أكثر شيوعاً[٢] وكان من شروطه أن يكون خيراً، عادلاً، أميناً، يقوم بالفصل في المنازعات، ويقيم العدل، وله كافة السلطات على أبناء حرفته[٣].

شيخ السوق :

أحد المهن الجليلة المتصلة بمهنة الوراقة، وكان يشترط في صاحب تلك الوظيفة بصفة عامة، أن يكون مشهوراً بالاستقامة والصلاح واللياقة في المشيخة، وأن يرضى عنه مشايخ الحرف ، وينوّهوا بحسن سيرته ويذكروا محامده... وأن يوافق القاضي والسلطان على تعيينه. ومهمته الإشراف على جميع طوائف الحرف ومشايخها. ولا يتم أي تعيير فيها إلا بعلمه [٤]

---

١ عن مادة شيخ راجع، الفاروقي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج وآخرون، ترجمة، د. عبد الله الخالدي و د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.، حرف الشين، جـ١/١٠٤٩ .

٢ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، دار الشرق، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، صـ ٦٥

٣ المقريزي : اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مجموعة من المحققين، لناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢/٢٢٤ .

٤ للمزيد طالع نبيل السيد الطوخي: طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م، صـ ٤٢

نظر دار الضيافة والأسواق :

ومهمة هذا الناظر، أن يكون مسئولاً عن ما يتحصّل الأسواق، مثل: سوق الخيل والرقيق ونحوهما، بجانب التكفل بشأن الضيوف والرسل، الواردة إلى الأبواب السلطانية من رسل الملوك ونحوهم، وصرف مرتبات مقررة لأناس بعينهم في كل شهر؛ والتحدّث فيها ولاية وعزلا وتنفيذا راجع إلى الدّودار[١][٢] وقد اختلفت المصادر التاريخية حول مسميات مشايخ الأسواق، فنراها تارة تذكر شيخ السوق، وتارة أخرى تذكر نقيب السوق والأسواق، وتارة ثالثة تذكر ناظر الأسواق، وكان لهذا المنصب هيبته، وقدره السامي لدى السلطة الحاكمة، نظراً لما تمثله الأسواق، من مصدر دخل مهم جدا للدولة المملوكية، ومن بين هؤلاء الذين تولوا هذا المنصب، قاضي الإسكندرية، شرف الدين محمد بن المعين محمد بن بهاء الدين عبد الله ابن الدماميني، ولي العديد من المناصب، منها: قضاء الإسكندرية، ثم نظر الجيش[٣]..

---

١ كلمة فارسية مكونة من مقطعين، دواة، ودار بمعني ممسك، وترجمتها الحرفية ممسك الدواه، أو الكاتب، ورنكه الدواه، ومن لفظها تتضح دلالتها، حيث أن من مهام تلك الوظيفة السامية إرسال المراسيل والمناشير والأوامر السلطانية، والبريد السلطاني، وإدخال الوفود والرسل الخارجية (السفراء) وغير ذلك من المهام الجسيمة، ولعلها تشبه وظيفة رئيس ديوان رئيس الجمهورية في عصرنا الحالي. للمزيد القلقشندي: صبح الأعشى، ٤٣٤/٥. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ٤٢٨/٤، مادة دَوادار.

٢ القلقشندي : صبح الأعشى، ٣٢/٤

٣ النظر بالفتح تأمل الشيء بالعين، وله في كتاب الله العديد من الأمثلة منها قول الله تعالى، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾(البقرة، ١٣٣) أي انظر إلينا، وتعبير القرآن بانظروا أي تأملوا وتدبروا وتفكروا، والناظر في اللغة كذلك الحافظ، والناظر المراقب، والمتابع ورئيس العمل، ونقيب الجيش، ورئيس الديوان، ورئيس المقاطعة والإقليم، ونظر الجيش، وظيفة مملوكية عظيمة القدر، سامية المكانة، يتولى صاحبها أمر الاقطاعات في مصر والشام، وحصرها وتقسيمها وابلاغ السلطان عن كل ما يتعلق بها، وكانت المماليك السلطانية تتبع ناظر الجيش. الرازي ، مختار الصحاح، مادة نظر، ٣١٣، رينهارت : تكملة المعاجم العربية ، مادة مهر، ١٢٤/١٠،/ ٢٤٦ مادة نظر ❁ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١/٤.

والخاص[١] بالدّيار المصرية، كما تولى منصب وكالة بيت المال[٢]، ونظر الكسوة [٣] ثم نظر ديوان المفرد[٤]، ثم نظر الأسواق، وولى حسبة القاهرة غير مرة، وقد توفي رحمه الله سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[٥]

---

١ وظيفة جليلة القدر في دولة المماليك، وصاحبها على درجة وزير، ومهمته، الإشراف علي الأموال السلطانية، والذى استحدث تلك الوظيفة هو الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١ هـ /١٣٤١م) وجعلها محل الوزارة، وجعل لصاحبها سلطات واسعة جدا في المملكة. ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، مسالك الأبصار، ٤٥٢/٣ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٠/٤.

٢ من الوظائف الجليلة، التى كانت لا تسند إلا لذوي الهيبة من شيوخ العدول، ويفوّض إليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من كل صنف يملك ويجوز التصرف فيه شرعا، وعتق المماليك، وتزويج الإماء، وتضمين ما يقتضي الضمان، وابتياع ما يرى ابتياعه، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه في التصرف عن الخليفة . القلقشندي، صبح الأعشى، ٥٥٩/٣.

٣ ورد هذا اللفظ عند القلقشندي دون تعريف، وكانت تلك الوظيفة من الوظائف عالية القدر بحيث ترتبط بالكعبة المشرفة، وكسوتها التى تحمل إليها من مصر كل عام، وكان لها ديوان مخصوص يقوم علي صناعتها وتطريزها والعناية بكل ما يتعلق بحملها إلى مكة كرمها الله، على رأس هذا الديوان ناظر يقال له: ناظر الكسوة. راجع صبح الأعشى، ٥٥/٤. محمد عمارة وآخرون: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، صـ ٥٨٣

٤ من المهن التى راجت في الدولة المملوكية منذ عهد الظاهر برقوق (١٣٩٩/٨٠١م) وهو بديل عن ديوان الخاص الذى استحدثه الناصر محمد، حين تولى الظاهر برقوق السلطة اشترى عدداً كبيراً من المماليك وأنشأ لهم ديواناً يشرف على المقاطعات التي خصصت وارداتها لرواتب هؤلاء المماليك وعلف دوابهم، وقد أطلق على هذا الديوان اسم ديوان المفرد، وكلها مهن تدور في فلك الحاكم ولها علاقة مباشرة به ونستطيع أن نقول عليه أنه في مقام الوزير من الحاكم . القلقشندي : صبح الأعشى، ٥٢٤/٣. المقريزي : الخطط، ٣٨٩/٣. رينهارت : تكملة المعاجم، ٤٠/٨.

٥ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي (٧٥١ هـ – ٨١٦ هـ): تاريخ ابن حجي، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، جـ ٤٥٣/١ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣/١٣.

ومن خلال هذا العرض يتضح، أن هذا الرجل نال شرفا وثقة كبيرة لم يحظى بها كثر، في تلك الفترة، وما يهمنا هو توليه منصب نظارة السوق، وبالنظر إلى حجم المناصب التى وليها وكلها تحتاج لمهارات وصفات خاصة ، منها الحكمة والفقه، والعدل، والمهابة وقوة الشكيمة مع التحلى بالكياسة والذكاء، يتضح لنا أن منصب ناظر السوق لا يقل عن وظيفة المحتسب.

وهناك العديد من الأمثلة والنماذج التي تؤكد على حرمة تلك الوظيفة ومهابة من يتولاها.

شهود العدول

إحدى المهن التى ارتبطت بأسواق الوراقة كذلك، والعدل من الناس هو المرضي عنه قولا وحكما، وتقول فلان يعدل أي يحكم بالحق ولا يحيد عنه[١]، ويقال رجل عدل أي شهادته شهادة حق، وتجمع على عدول، وعندنا باب في العلوم اسمه الجرح والتعديل، وله شروطه وقواعده للحكم على رواية تاريخية، أو حديث بقبوله من عدمه بشروط وضعها أرباب هذا العلم، وسموا من تقبل شهادتهم بالعدول وقد نبه القرآن على قضية الشهادة والعدالة فقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[٢] وقوله سبحانه ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [٣] والعدالة عند أهل الحديث والتاريخ التزام الحق، والتمسك بالفرائض وتجنب المحرمات والمحظورات[٤] وعرفها الفخر الرازي رحمه الله، أنها

١ الفراهيدي: العين، ٣٨/٢، مادة عدل.

٢ المائدة ١٠٧

٣ الطلاق ٢

٤ ابو بكر كافي : منهج الإمام البخاري، في تصحيح الأحاديث، لناشر: دار ابن حزم بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٠ م، صـ ٧٥ ۞ ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق/ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، طـ١، الناشر: مطبعة سفير بالرياض عام ١٤٢٢هـ، صـ٦٩.

تعني الوسيطة فالعدالة هنا تعني التوسط بين أمرين بلا إفراط ولا تفريط، وقال أمة وسطاً، أي عدلا. [١].

ووظيفة هؤلاء قديمة أقدم من دولة المماليك، فقد وجدت تلك المهنة بوجود الشريعة الإسلامية، وكان من مهامهم الشهادة علي المواثيق والعقود، والأنكحة وغيرها، فقد ورد لفظ الشهود العدول في العديد من القضايا التاريخية في مصادر التاريخ المتقدمة[٢]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قدم تلك المهنة وعراقتها.

وقد تعرض لهم السبكي رحمه الله بقوله :

" قِوَام غالب المعاش والمبادلات. وقد ذكَر الفقهاء ما لهم، وما عليهم..." [٣]

وكانت وظيفة هؤلاء الشهود تتصل بالقضاء، وأماكنهم أسواق الوراقة والكتبيين، فقد ذكر ابن بطوطة عند زيارته لمدينة دمشق، ووصفه للجامع الأموي الكبير وما يتعلق به، قال أن الرحبة المتصلة بأحد أبواب المساجد الرئيسه، متصلة بدكاكين لكبار الشهود، منها دكانان للشافعية، وسائرها لأصحاب المذاهب، يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول، ثم عقب بقولة وهذه الدكاكين بمقربة من سوق الوراقين. [٤]

---

١ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ،٨٤/٤.

٢ الطبري: الرسل والملوك، ١٩٢/٧. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) : تجارب الأمم وتعاقب الهمم، المحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م، ٤٦٥/٣.

٣ تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ):معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م، صـ٥٤.

٤ رحلة ابن بطوطة، ٣١٢/١.

كما تطرق النويري لتلك القضية، وجلوس الشهود العدول، والذين كانوا بمثابة مكاتب التوثيق في الشهر العقاري في عصرنا الحالي، في سوق الوراقين وعلاقة الدولة بهم بقوله:

"ثم حضر الشيخ مجد الدين[١] واجتمع بالسلطان[٢]، وقرّر معه قطع جماعة العدول الجالسين بسوق الورّاقين من الخانقاة، وأرباب الوظائف، فقطع من الخانقاة الصلاحية من له عدالة بارزة، وجلوس بسوق الوراقين، وقطع أيضا جماعة من أرباب الوظائف، فصارت العدالة البارزة وصمة عليهم، وسببا لحرمانهم، وقويت الشناعة فى ذلك، فأعيد بعض من قطع... " [٣]

ويستفاد من هذا النص أن حوانيت هؤلاء وموطن جلوسهم في الأصل كان في سوق الوراقة، فرأي الشيخ أن لا يجازوا مرتين مرة بالجرايات والعطايا والمنح التي تمنح لهم من الخانقاة الصلاحية والأخرى، من تكسبهم من خلال عملهم في الشهادة والتوثيق وغير ذلك.

وبعيدا عن الحديث عن تحليل تلك القضية، فالمهم هنا هو معرفة هذا الصنف من الناس المتعلق بأسواق الوراقة.

ولعل السؤال المتبادر إلى الذهن الآن ما علاقة هؤلاء بأسواق الوراقة ؟ وهل كان لهم دور بارز في تنشيط حركة الوراقة والكتابة وما يتعلق بها في العصر المملوكي؟

ويجيب ابن دقماق رحمه الله عن هذا السؤال وذلك في معرض حديثه عن حوادث سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧م، حيث يقول:

---

١ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى الحنفى، كان شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس، وكان إماما فقيها بارعا مفتيا توفى سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠م . الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر، ٤٧٤/٥.

٢ يقصد الناصر محمد بن قلاوون.

٣ نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٤١/٢٣.

"وفيها في ذي القعدة تولى قاضي القضاة شمس الدين بن الخليل الخويّي [١] قاضي قضاة دمشق، وهو أول قاضي رتب مراكز الشهود [٢] بدمشق وكانوا أولا ورّاقين يورقوا ، فإذا فرغوا من الوراقة مشوا الى بيوت العدول يستشهدوهم في حقوقهم" [٣]

ويؤخذ من هذا النص أن أول من جعل لهؤلاء الشهود وتلك المهن مكاتب خاصة بها هو هذا القاضي، وقد عقب المقريزي على هذا النص بقوله:

" وكانوا أولاً بدمشق وراقين يورقون المكاتيب وغيرها، فإذا فرغوا من الوراقة مشوا إلى بيوت العدول فيشهدونهم، على ما يريدون، واقتدى بعد ذلك أهل القاهرة، ومصر بهم"[٤]

---

١ القاضي الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى الخويي (بلد مشهورة من أعمال أذربيجان. ياقوت معجم البلدان، ٤٠٨/٢)، فقيه فاضل دخل دمشق وولي الحكم بها استقلالًا، ودرس وكانت سيرته حميدة ولديه فنون عديدة سمع بنيسابور من أبي الحسن المؤيد بن محمد الطوسي وحدث عنه بدمشق ، مولده في شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة(٥٨٣هـ/١١٨٧م) وتوفي يوم السبت السابع من شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م)بدمشق. للمزيد سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ – ٦٥٤ هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م ،جـ٣٦٧/٢٢.۞ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر ، جـ٧٣٤/٢.

٢ أشبه بمكاتب التوثيق أو الشهر العقاري الآن

٣ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري الملقب بابن دُقْماق (المتوفى: ٨٠٩ هـ) : نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، دراسة وتحقيق: الدكتور سمير طبارة، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، صـ٩١.

٤ السلوك،٣٨٦/١.

وعليه ومن خلال ما سبق يتضح الآتي:

أن مهنة الكتابة للمواثيق والعقود كانت مرهونة ببعض الوراقين والكتاب الذين يكتبون تلك العقود والمواثيق وغيرها.

أن العدول مهتهم التوثيق واثبات حق الغير فهم بمثابة مكاتب التوثيق المنتشرة اليوم، وكان منهم من يذهب ليشهد لرجل علي رجل أو لأحد على أحد، وقد ذكر بعضهم أقوالا في بعض من حاد عن جادة الصواب وشهد زوراً وبهتاناً.

فقال السبكي نقلا عن أقوال بعضهم:

" قومٌ إذا غضبوا كانت رماحهم ... بثَّ الشهادة بين الناس بالزورِ

هم السلاطينُ إلَّا أنَّ حكمهم ... على السِّجلَّات والأملاكِ والدورِ

وقال آخر:

إيَّاك أحقاد الشهود فإنَّما ... أحكامهم تجري على الحكَّامِ

قومٌ إذا خافوا عداوة قادرٍ ... سفكوا الدما بأسنَّة الأقلامِ

وعقب على هذا بقوله: وكل هذا عندنا غلوّ، وإفراط، وتجاوز. ومن سلكَ منهم ما أمرَ به واجتنب ما نهى عنه محمود مأجور" [1]

١- أن دمشق كان لها السبق في تلك المسألة وتنظيمها ثم تبعتها القاهرة وسائر الأقاليم في مصرنا المحروسة.

وهناك العديد من النماذج التى امتهنت تلك المهنة وأثرت في حركة الوراقة والحضارة الإسلامية والإنسانية بصفة عامة، ومن بين تلك النماذج نذكر علي سبيل المثال لا الحصر.

محمد بن سليمان بن سومر البربري الزواوي، قاضي القضاة، المالكي المذهب، قدم الإسكندرية وحدث بها، كان من أعيان العدول وشيوخهم، ناب

١ معيد النعم، ٥٤.

عن القاضي في الشرقية والغربية، والقاهرة وولي قضاء دمشق، فظل بها ثلاثين سنة، وتوفي رحمه الله سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م[١] .

وهناك العديد من النماذج والأمثلة.

الدلال

دل يدل إذا هدى وأرشد،[٢] وهو المرشد والهادي، والدلال السمسار، أو من يجمع بين البائع والمشتري[٣] وقد ورد هذا اللفظ في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع منها قول الحق سبحانه:

﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ [٤]

وقوله سبحانه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥] كما عرف باسم السمسار[٦].

وقد تحدث السبكي عن أوصاف الدلالين وشروطهم فقال:

" الدلَّالون: فمنهم دلال الكتب. ومن حقِّه ألَّا يبيع كتب الدين ممَّن يعلم أنه يُضيعها، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها، وألَّا يبيع شيئًا من كتب أهل

---

١ الصفدي أعيان العصر، ٤/٤٥٧.

٢ الهروي: تهذيب اللغة، باب الدال واللام، ١٤/٤٨.

٣ رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ٤/٣٨٨، مادة دل.

٤ طه آيه ٤٠

٥ الصف ١٠

٦ كلمة فارسية معربة، ومعناها متولى البيع والشراء، وسماه رينهارت سمسار وصمصار، وقال هو من يتحايل لتزويج شخص أو بيع شيء، وهو الوسيط بين البائع والمشتري لتسهيل الصفقة، ويقال له: دلاّل. الفيروزابادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق/ محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، صـ٤١٠ ، فصل السين.۞ رينهارت: تكملة المعاجم ، ٦/٤٦٧. مادة صمصر.

البدع والأهواء، وكتب المنجّمين، والكتب المكذوبة؛ كسيرة عنتر وغيره. ولا يحل له أن يبيع كافرًا لا المصحف ولا شيئًا من كتب الحديث والفقه" [١]

ومن هذا النص يتضح أن الدلال، هو البائع، وهو وسيط بين الكاتب أو صاحب حانوت الوراقة (دار النشر الآن) وبين المشتري ومعظمهم من طلبة العلم، أو اتباع السلطان أو الأمير.

وأشترط له شروطاً.

١- الاحتراز في الكتب الشرعية المتعلقة بالكتاب والسنة وعلوم الشريعة، فلا يبيعها إلا لمن يقدر قيمتها ويعرف قدرها، وهذا يتطلب شرطا أخر الا وهو معرفة البائع نفسه بقيمة ما يبيعه .

٢- أن يبيع كتب السنة دون كتب البدعة، وهو أمر عسير وصعب تحققه، لأن البائع لا يعنيه إلا تحقيق الربح في المقام الأول.

٣- الشرط الثالث أن لا يبيع كتب الشريعة إلا للمسلمين احترازا لها عن الامتهان.

وقد فرق بعضهم بين الدلال والبائع، وقال بأن تلك مهنة وتلك مهنة أخرى مغايرة لها تماما[٢]

وإن كنت أرى أنه لا مانع من الجمع بين الوظيفتين، لاسيما وأن هذا العصر لم يعرف التخصص والتفاصيل الدقيقة في كل مهنة، فمن الممكن أن المنادي بائعا، ومن الممكن أن يقتصر دوره على مجرد الدعاية والإعلان.

وفي وصف السبكي المتقدم للدلال، يتضح أنه لا فرق بين البائع والمنادي، وعليه أرى أن كلاهما واحد ولا مانع من الجمع والتوفيق بين كل من القولين، فمن الممكن ان تقتصر مهنة الدلال على مجرد الإرشاد والدعاية، أو تشمل الأمرين البيع والدعاية.

---

١ معيد النعم ومبيد النقم، ١١٠.

٢ ياسر رجب، دلال الكتب ودوره في تكوين مجموعات المكتبات الخاصة، بحث منشور بالجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات، ٢٠٠٦م، صـ ٤٦.

وقد أشترط فيما يتصدى لتلك المهمة الخطيرة بضعة شروط منها:

١- أن يكون علي دراية وخبرة كافية بالكتب بمعرفة الرديء من الجيد والرائج من غيره.

٢- أن يكون له خبرة كافية بأسواق الوراقة والكتبيين، وكذا معرفة بالكتاب والنساخ، والمسائل المشهورة، والكتب التى يحتاج لها طلاب العلم.

٣- التعرف على أماكن تجمعات الكتاب والمفكرين والأدباء ومنتدياتهم.

٤- التنقل من بلد لبلد ومكان لمكان في سائر الأقطار، والبلدان. [١]

ولم تكن مهنة الدلال متوافرة بهذا الشكل الذى نراه الآن، فدور النشر الآن متوافرة وكثيرة والإعلان عن كتاب أو البحث عن كتاب أصبح متيسرا، اما في العصور الغابرة فكانت المسألة شاقة وغير متيسرة، فقد حكى ياقوت في معجمه وتابعه فرانتز روزتال، " من عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي[٢] الشيخ الصالح قال: سمعت ابن الاخشاد[٣] شيخنا أبا بكر يقول: ذكر أبو عثمان[٤] في أول «كتاب الحيوان» أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست، ومرّ بي في جملتها «الفرق بين النبي والمتنبىء» و «كتاب دلائل النبوة» وقد ذكرهما هكذا على التفرقة وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فأحببت أن أرى الكتابين، ولم أقدر إلا على واحد منهما، وهو «كتاب دلائل النبوة» وربما لقب بالفرق خطأ، فهمّني ذلك وساءني في سوء

---

١ ياسر رجب علي، دلال الكتب،الجمعية المصرية للمكتبات، ٢٠١٥م، صـ ١٧٤.

٢ علي بن عيسى بن فرج الربعي النحوي، درس ببغداد الأدب على أبي سعيد السيرافي، وخرج إلى شيراز، فدرس بها على أبي علي الفارسي مدة طويلة، ثم عاد إلى بغداد، فلم يزل مقيما بها إلى آخر عمره. وكان من أئمة النحو واللغة في عصره، وقد توفاه الله سنة ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩م. للمزيد. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ٤٦٣/١٣

٣ أحمد بن علي بن بيغجور أبو بكر بن الإخشاد وقيل بن الأخشيد، أحد الأصوليين في زمانه وأحد رؤوس المعتزلة، له العديد من المساجلات والتصانيف في فن الكلام وعقيدة المعتزلة وغيرها توفاه الله في سنة ٣٢٦ هـ/ ٩٨٣م. للمزيد الخطيب البغدادي، جـ ٥٠٦/٥.

٤ يقصد الجاحظ

ظفري به، فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجّا أقمت مناديا بعرفات ينادي، والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب ومن مهبّ الشمال إلى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر: «رحم الله من دلّنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبىء لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان» . قال فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: عجب الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به؛ قال ابن الاخشيد: وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها.[١]

ومن هذا النص يتضح امارات وعلامات تلك المهنة، الأمر الثاني صعوبتها والمشقة في الحصول علي الكتب.

وكانت لهؤلاء الدلالين اساليبهم في الترويج وتزيين عملية البيع والشراء، فقد ذكر ياقوت في معجمه، عند ترجمته لابن سينا ت(٤٢٨ هـ / ١٠٣٧م) أنه حضر يوماً في سوق الوراقين، والمنادي ينادي على كتاب في الحكمة، وعرضه عليّه فأعرض عنه، فقال له : اشتره فصاحبه محتاج فاشتراه بثلاثة دراهم، وإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي[٢] في أغراض كتاب «ما بعد الطبيعة» يقول: فطالعته ففهمت الكتاب وتصدقت على الفقراء بشيء كثير، شكرا لله تعالى على ذلك. [٣]

١ ياقوت، ٥/ ٢١١٥. فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريجه، مراجعة، وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت لبنان، صـ٥٢.

٢ أبو نصر محمد بن محمد بن أَوزَلَغ بن طَرخان الفارابي، الملقّب بالمعلّم الثاني، الحكيم الرياضي، الطبيب، الموسيقي. توفي سنة ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م. للمزيد ابن أبي اصبيعة طبقات الأطباء، صـ٦٠٣.

٣ معجم الأدباء، ١٠٧١/٣

ومن أشهر الذين عملوا في تلك المهنة وآثروا الحضارة الإسلامية قبيل العصر المملوكي، الحظيري[١] أبو المعالي، سعد بْن علي بْن القاسم، المتوفى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، الأديب الوراق، له العديد من المؤلفات، منها لمح المُلح، وزينة الدهر وغيرهما[٢]

ومن النماذج التى عملت بتلك المهنة في العصر المملوكي، تاج الدين ابن المناديلي،كان دلالاً للكتب، ينادي عليها في الأسواق، سيما يوم الجمعة، وقد اكتسب شهرته، وتكسب رزقه من تلك المهنة، بجانب عمله ناسخاً وكاتباً، نسخ العديد من الدواوين والأشعار، ومن النوائب التي حدثت له أنه في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، أن نائب السلطنة بالشام[٣] وقع في يديه كتابا نسب زوراً، لابن تيمية رحمه الله وغيره من الفضلاء، يكاتبون التتار ويطلبون نجدتهم لتولية قبجق [٤] على الشام، وعند التأكد والتثبت من نوع الخط ومقارنة الخطوط، اتضح أن كاتب تلك الرسالة هو ابن المناديلي فعوقب بقطع يده

١ قرية كبيرة من أعمال بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٤/٢.

٢ الذهبي: تاريخ الإسلام، ت بشار معروف، ٣٩٤/١٢. ناظم رشيد، سعد بن علي الحظيري، الملقب بدلال الكتب، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٩م ،صـ١٧٢.

٣ الأمير جمال الدين أقش، أقوش(كلمة تركية تعنى الطائر الأبيض. عبد الله حافظ، معجم أسماء السلاطين والأمراء، دار النيل، صـ٦٣) الدودار، الأفرم، من مماليك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩ - ١٢٩٠م)، كما ولي العديد من المناصب منها نيابة السلطنة في بلاد الشام، وقبلها نيابة صرخد، ونائب الفتوحات، أصله من المماليك البرجية، وكان خيراً لا يحب الظلم، ولا يحب سفك الدم، أحبه أهل دمشق لحبة للعلماء، تقلبت به الأيام، والأحوال، وقد بلغ من القوة والسلطة أنه كان يتصرف في نيابة الشام بالعزل والتولية كيفما شاء، وقد توفي رحمه الله في سنة ٧١٦ هـ/ ١٣١٦م . ابو الفداء، ٦٠/٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٩٠/٩، المقريزي: السلوك، ٥١٩/٢

٤ الأمير سيف الدين قبجق المنصوري، نائب حلب، ولي نيابة دمشق، وخرج منها أيام لاجين(٦٩٥-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٩م) إلى بلاد التتار، ثم أغرى غازان بدمشق، على اثر خلافه مع النظام الحاكم، ثم عاد لطاعة الناصر محمد في فترة ولايته الثانية(٦٩٨- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٩-١٣٠٣م)، وقد توفي رحمه الله سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١٦/٩.

اليمني[1]وكتب بعد ذلك بشماله، وقاتل على ذلك لأن الخط كان رأس ماله، وكان يعتذر في آخر الكتاب أنه بيده اليسرى، ولم يزل على حاله حتى مات في سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م.[2]

وهناك العديد من النماذج التى لا يستع المقام لذكرها، ممن عملوا في مهنة الدلالة والسمسرة وبيع الكتب.

وبناء على ما تقدم، يتضح أن الدولة كان لها بالغ التأثير في مسألة تنظيم أسواق الوراقة والإشراف عليها، وضبط أسعارها، كما أنها كانت إحدى مصادر الدخل لخزانة الدولة في تلك الحقبة.

العوامل المساعدة علي رواج مهنة الوراقة عصر سلاطين المماليك

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في رواج ونشاط حركة الوراقة في العصر المملوكي ساكتفي بذكر ثلاثة منها وهي.

- السياسة العامة للسلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة .
- الحالة الاقتصادية للدولة .
- انتشار المؤسسات العلمية والمكتبات بأنواعها.

أولا: تشجيع السلاطين.

وأقصد تشجيع السلاطين للحركة العلمية والفكرية، واثر ذلك علي نشاط أسواق الوراقة.

مما لاشك فيه أن عصر سلاطين المماليك أحد أزهى عصور الفكر والثقافة في مصر والشام والعالم الإسلامي كله، ولعل السبب في ذلك امور عده، كان على رأسها سقوط مدينة بغداد ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وقتل الخليفة العباسي المستعصم(٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م) [3] ثم النصر المؤزر الذى تحقق

١ النويري: نهاية الأرب، ٢٥/٣٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨/١٨.

٢ الصفدي : أعيان العصر، ٤٧/٣.

٣ للمزيد عن تلك النكبة يرجى مطالعة، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ٢٧٠. الذهبي تاريخ الإسلام، ٦٧٠/١٤.

علي يد سيف الدين قطز (٦٥٨هـ-١٢٦٠م) طيب الله ثراه في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[١] منذ ذلك التاريخ وصارت القاهرة عاصمة العالم الإسلامي، وحلت مصر محل الخلافة العباسية، واضحت قلب العالم الإسلامي النابض، ليس فقط في مجال السياسة أو الاقتصاد، إنما غدت هي العاصمة الفكرية والثقافية والأدبية، ومدينة الفن والعمارة والخط، وصار الأزهر بعد إعادة فتحه في سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٤م وقيل بل في سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م، بسعي من الأمير عز الدين ايدمر الحلي[٢] [٣] وصار الأزهر كعبة العلم، وقلعة الدين، وحامي حمى العقيدة.

كما أن سقوط بغداد، وهجمات التتار المتكررة على الشام [٤] جعلت الكثير من المشارقة يفرون إلى مصر لاسيما بعد تحقيق النصر العظيم في عين جالوت، واستقرار مصر سياسيا وعسكريا واقتصاديا.

---

١ للمزيد عن تلك المعركة يرجى مطالعة، ابن العديم : بغية الطلب، ٢/١٠٢٠. الصفدي: نزهة المالك، ١٤٩. ابو الفداء المختصر، ٣/٢٠٥.

٢ بدر الدين الصالحي، نائب السلطنة في فترة الظاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) توفي رحمه الله سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م. النويري: نهاية الارب، ٣٠/١٦٥.

٣ اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (المتوفى: ٧٢٦ هـ): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، جـ٤/١٦٦. ابن دقماق: نزهة الإسلام، ٤٢. المقريزي: السلوك، ٢/٤٢.

٤ للمزيد عن هجمات التتار على الشام راجع الصفدي، الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (المتوفى: بعد ٧١٧ هـ): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك «يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء حتى سنة ٧١٧ هـ»، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١٨٥. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٢/٣٦١.

ومما لا ريب فيه أن هذا التوافد جعل من مصر جامعة عالمية، اختلطت فيها أفكار المشارقة والمغاربة، وتلاقي فيها علماء المشرق من شتى البقاع من ما وراء النهر، وفارس والديلم، والعراق والشام مع المصريين، وانصهرت تلك الأفكار والتقاليد والفنون في بوتقة الأزهر حفظه الله.

وقد كان لسلاطين دولة المماليك البحرية عظيم الأثر في اثراء الحركة العلمية والفكرية في مصر المملوكية، فقد فطن المماليك لخطورة الدور التاريخي الذى قدر لهم أن يلعبوه علي الساحة آنذاك، وأخذتهم الغيرة علي الحفاظ علي التراث الإسلامي من جهة نظرا لكونهم مسلمين، والصبغة الإسلامية أهم من الصبغة العربية، اضف لذلك رغبتهم في أن تسطر اسمائهم بحروف من نور في سجلات التاريخ، وكتب التراجم .

فمنذ أن ارست سفينة الخلافة شراعها في مصر المحروسة، وصارت مصر الملاذ والملجأ لكل جافل وخائف ومهاجر، ادني سلاطين المماليك العلماء والمفكرين والشعراء والفنانين من مجالسهم، وجعلوا بعضهم في سدة الحكم ودار الخلافة وبيت السلطنة.

وحتي يتضح المقال اليك المثال:

تبلورت حركة تشجيع السلاطين فيما يلى .

- تشجيع السلاطين، ومنشآتهم .
- المجالس العلمية.
- علماء تقلدوا مناصب رفيعة ومرموقة .

أولا : شخص السلاطين ومنشآتهم، وأثرهما في حركة الوراقة.

أ- التراث العلمي والفني لبعض سلاطين المماليك.

من العسير جدا أن احصر هذا التراث في بضع وريقات، إنما هو أمر جلل يحتاج لمجلدات عديدة، وقد تكلم فيه أهل التاريخ قديما وحديثا، إنما يكفى هنا أن أشير إلى نموذجين أو ثلاثة على الأكثر وبايجاز لبعض هؤلاء السلاطين

مع ذكر نبذه لما خلفوه من تراث، يدلل على مدى اهتمامهم بالحركة العلمية والفكرية في عصرهم .

١- الظاهر بيبرس.

يعد الظاهر هو المؤسس الفعلي لدولة المماليك، وقد واجه الظاهر عدة تحديات، في بداية حكمه منها ما هو على الصعيد الخارجي كمناوشات التتر والمغل والصليبين، ومنها ما هو داخلي، وكان عليه أن يتصدى لكل هذا بحزم وقوة، ولا يعني البحث التطرق لتلك المواجهات، أو سياسة الظاهر الداخلية والخارجية، بقدر ما يعنينا كشف اللثام عن جانب صغير من جوانب شخصية بيبرس العلمية، وحبة للعمارة والفنون والأدب.

لقد قدر الله لبيبرس أن يأتي على رأس فترة مفصلية في تاريخ الامة الإسلامية، في وقت اتجهت فيه الأنظار كلها لمصر، على اعتبارها حامي الحمي، والحصن ا لحصين، وقلعة العلوم، وكعبة المعارف، لوجود أزهرها، وجامعها العتيق بفسطاطها والجامع الطولوني، وقد أراد بيبرس منذ أول وهلة أن يكون له باع كبير في هذا المضمار فعمد لبناء أحد أهم المساجد الجامعة في شمال القاهرة، الا وهو جامع الظاهر، أثر رقم(١) ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨م، وكان المراد من وراء هذا المسجد أن يكون جامعة عالمية على قدم المساواة مع الأزهر وجامع عمرو وطولون وغيرها من المساجد الجامعة [١]، ولم يكتفى بهذا المسجد الضخم إنما بنى مدرسته، بالنحاسين، أثر (٣٧١) ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م، وقد شرط لها شروطاً، بعد أن دفع ثمنها، ولم يغتصب أرضها، منها أن لا يستعمل فيها أحدا بغير أجرة، ولا ينقص من أجرته شيئا[٢]

---

١ عن هذا المسجد يرجى مطالعة الخطط المقريزية، ٩٥/٤. عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص ٣١٩. كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩١م، ص ٣٧.

٢ الخطط المقريزية، ٢٢٥/٤.

وبعد الفراغ من البناء يقدم لنا المقريزي وصفا تفصيلياً، لمراسم افتتاح المدرسة فيقول:

"فلما كان يوم الأحد خامس صفر سنة اثنتين وستين وستمائة، اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القرّاء وجلس أهل الدروس كلّ طائفة في إيوان، منها الشافعية بالإيوان القبليّ ومدرّسهم الشيخ تقيّ الدين محمد بن الحسن بن رزين الحمويّ[1]، والحنفية بالإيوان البحريّ ومدرّسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبيّ،[2] وأهل الحديث بالإيوان الشرقيّ ومدرّسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ،[3] والقرّاء بالقراءات السبع بالإيوان الغربيّ وشيخهم الفقيه كمال

---

١ هو قاضي القضاة، محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى بن نصر الله، الشافعي الحموي، كان فقيها محدثا، شافعي المذهب، تتلمذ على يد ابن الصلاح وغيره من كبار العلماء، كان من العلماء البارزين في عصره، والنجوم الزاهرة في دهره، فأفتى ودرس، كما تولى وكالة بيت المال أيام الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله (٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م) ومع زحف التتار على الشام سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م قدم مصر، فاحتضنته وآوته، وترعرع في خيرها فولي بها العديد من المناصب العلمية والسياسية، فولى التدريس بكبريات مدارسها، مثل: المدرسة الصالحية، وقبة مولانا الإمام الشافعي ﷺ، والمدرسة الظاهرية، كما تولى القضاء وغيرها من المناصب الجليلة، وقد توفاه الله ﷻ وأرضاه في سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م. الصفدي : الوافي، ١٥/٣.

٢ قاضي القضاة، مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي، أحد كبار فقهاء الأحناف بمصر والشام، وهو أول حنفي يلى الخطابة بجامع الظاهر بيبرس، وكان صاحب علم وفضل، ومن بيت علم وأدب وكرم، توفي رحمه الله سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م. ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٨٢/١٣.

٣ الحافظ الْكَبِير شرف الدّين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الْحسن الدمياطي بن شرف بن الخضر بن موسى، الْمصْرِيّ الشَّافِعِي، أحد كبار علماء الحديث في عصره، ولد بدمياط سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، قال عنه تلميذه البرزالي، كان آخر من بقي من الحفاظ وأهل الحديث أصحاب الرواية العالية والدراية الوافرة وقال الذهبي في معجمه العلامة الحافظ الحجة أحد الأئمة الأعلام وبقية نقاد الحديث، له العديد من المؤلفات في السيرة والحديث=

الـدين المحلـيّ،[1] وقـرّروا كلهـم الـدروس وتنـاظروا فـي علـومهم، ثـم مـدّت الأسمطة[2] لهم فأكلوا، وقام الأديب أبو الحسين الجزار[3] فأنشد:

ألا هكذا يبني المدارس من بنى ... ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة ... بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمّع فيها كلّ حسن مفرّق ... فراقت قلوبا للأنام وأعينا

=وغيرها من العلوم. وقد توفي رحمه الله سنه ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م . للمزيد، الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م،صـ٣٩٠ . ۞اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ١٨١/٤. ۞الحنبلي: شذرات الذهب،١٢/٦.

١ أَحْمَد بْن عليّ بْن إِبْرَاهِيم، الإِمَام كمالُ الدّين المحلّيّ، الْمُقْرِئ، الضّرير، أبو الْعَبَّاس، شيخ القراء بالقاهرة، أخذ عن الشاطبي وغيره وتوفي رحمه الله سنة، ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م. الذهبي : تاريخ الإسلام، ٢٣٥/١٥.

٢ السماط ما يمد عليه الطعام، كالمائده ونحوها، وقيل: سماط الطعام أو سماط فقط بحذف الطعام ومعناه الأصلي صف الطعام. ويطلق على قطعة من الجلد تمدّ على الأرض وتوضع عليها صحون الطعام . الزبيدي: تاج العروس، مادة سمط، ١٩/ ٣٨٦.۞ رينهارت : تكملة المعاجم، مادة سمط، ١٤٦/٦.

٣ جمال الدين أبو الحسين يحى بن عبد العظيم الجزار المصري، المعروف بالجزار، أحد الشعراء الصعاليك في العصر المملوكي. ولد بالفسطاط سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥م ونشأ فيها،سمع أبا الفضل أحمد بن محمد بن الحباب، وروى عنه، وسمع من غيره أيضاً، كان إماماً أديباً فاضلاً، جيد البديهة، حلو المجون، دمث الأخلاق، حسن المحاضرة، وله أشعار كثيرة مدح الملوك والأمراء والوزراء والأعيان وغيرهم، وكان من محاسن الديار المصرية، وله نوادر مستطرفة، ووقائع مستملحة، ومداعبات ظريفة، ومكاتبات إلى الأدباء وغيرهم، وكانت بينه وبين ابن العديم الحلبي المؤرخ صداقة قوية، توفي سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م . اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٦١/٤.۞ الذهبي تاريخ الإسلام، ٣٧٨/١٥.

ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه الن ... فيسة منها في سرور وفي هنا

وما هي إلّا جنة الخلد أزلفت ... له في غد فاختار تعجيلها هنا

وقال السراج الورّاق أيضا قصيدة منها:

مليك له في العلم حبّ وأهله ... فلله حبّ ليس فيه ملام

فشيّدها للعلم مدرسة غدا ... عراق إليها شيّق وشآم

ولا تذكرن يوما نظّاميّة لها ... فليس يضاهي ذا النظّام نظّام

ولا تذكرن ملكا فبيبرس مالك ... وكلّ مليك في يديه غلام

ولما بناها زعزعت كلّ بيعة ... متى لاح صبح فاستقرّ ظلام

وقد برزت كالروض في الحسن انبأت ... بأنّ يديه في النوال غمام

الم تر محرابا كأنّ أزاهرا ... تفتّح عنهنّ الغداة كمام" (١)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا الآتي:

١- أنها كانت تشتمل علي إيوانات أربعة، الإيوان القبلي أو الجنوبي خصص للشافعية، والإيوان البحري، خصص للأحناف ، وإيوان للحديث، وأخر لتدريس القراءات وعلوم القرآن، ومن هنا يتضح مدى اهتمام الظاهر بعلوم القرآن والسنة، واختيار افضل المدرسين لمدرسته.

٢- أن المذهب الشافعي والحنفي هما اصحاب السيادة والريادة في مصر المملوكية.

٣- أنها مدرسة نظامية لها جرايات وأوقاف وطلاب ونظام دراسي، مثل مدرسة نظام الملك والنيسابورية، والمرجانية والمستنصرية وغيرها من المدارس. ولم يكتفى بمجرد البناء، أو أن تكون على النحو سابق الذكر، بل جعل لها خزانة كتب (مكتبة) تشتمل على امهات الكتب، في شتى العلوم والفنون والمعارف، ومما لاشك فيه أنه اعتمد علي الوراقين والدلالين وبائعي الكتب، لجلب تلك المخطوطات النادرة، لتزدان بها مكتبة مدرسته. وجعل بجوار

١ الخطط، ٢٢٥/٤.۞ المقريزي: المقفي الكبير، ٣١١/٥.

المدرسة كتابا أو مكتبا لتعليم أيتام المسلمين، وجعل لهم الجرايات[١] والكسوة، وأوقف عليها ربعه[٢] من أول باب زويلة وحتى باب الفرج (عند مديرية أمن القاهرة) (شارع أحمد ماهر حاليا)[٣]

كذلك كانت للظاهر العديد من المواقف التاريخية التي تؤكد على حبه للعلم والعلماء، وأرباب الفكر والثقافة، مما انعكس بدوره على حركة الوراقة والوراقين. وهناك العديد من المواقف الدالة على حب الظاهر للعلم والعلماء، وتشجعيه على الحركة الفكرية والثقافية. لكن لا يستع المجال لذكر أو حصر كل تلك المواقف.

وهناك كذلك الكثر من المماليك الذين اهتموا بحركة الفكر والثقافة طوال سنى حكم المماليك، أمثال المنصور قلاوون، ومدرسته، والتي رتب بها فقهاء وعلماء لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، ودرسا للطب ودرسا للحديث، ودرسا للتفسير، واختار لتلك الدروس أفضل العلماء في زمانهم[٤]، ومارستانه [٥]، الذى كان بمثابة قلعة طبية في قلب العالم الإسلامي، والناصر محمد، والأشرف برسباي(٨٢٤-٨٤١هـ / ١٤٢١-١٤٣٨م) وغيرهم من المماليك.

١ الجراية وجمعها جرايات، يقصد بها الرُزق، أو الراتب، وكانت الجرايات في العصر المملوكي، تتبع ديوان اسمه ديوان الرواتب. للمزيد. القلقشندي، صبح الأعشى، ٥٦٥/٣.

٢ الربع في اللغة يراد به المسكن والموطن، وقيل سمي بذلك لأن أهله يطمئون به وفيه، والربع كذلك الجماعة من الناس، ويراد به هنا المجمع السكني والتجاري . الفراهيدي العين، باب العين والراء، ١٣٣/٢.۞ ابن منظور : اللسان، مادة ربع، ١٠٢/٨.

٣ الخطط ٢٢٦/٤.

٤ للمزيد الخطط المقريزية، ٢٢٦/٤.

٥ عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام، صـ ٨٠

ب _ المجالس العلمية.

نشطت المجالس العلمية، في عصر سلاطين المماليك، وباتت قصور الأمراء والسلاطين، وأرباب الحكم والسياسة، وأرباب الفكر والثقافة أشبه بمنتديات فكرية وعلمية.

بدء من الظاهر بيبرس، هذا الرجل وبرغم عدم اجادته للغة العربية، إلا أنه كان محبا للعلماء، له مجالس علمية، يقول ابن تغري بردي:

" كان الملك الظاهر يحبّ أن يطّلع على أحوال أمرائه وأعيان دولته حتى لم يخف عليه من أحوالهم شيء. وكان يقرّب أرباب الكمالات من كلّ فنّ وعلم. وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا زائدا ويقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب." [1]

وكانت تدور المناظرات والمحاورات بين العلماء والسلاطين، من ذلك ما أن الناصر محمد بن قلاوون، لما جعل دار الأمير بكتمر الساقي[2]، في جزء من

---

١ النجوم الزاهرة، ١٨٢/٧.

٢ سيف الدين بكتمر (bektemur وتعني أمير قوي) كان من مماليك بيبرس الجاشنكير (متذوق الطعام، وكانت وظيفة في القصر المملوكي، مهمة صاحبها الإشراف على الطعام السلطاني وضمان خلوه من أي منغصات أو سموم. راجع أحمد رضا معجم متن اللغة، ٥٣١/١. الدهمان معجم الألفاظ التاريخية، ٥٠) ثم آل أمره إلى الناصر محمد، فجعله ساقيا، وزادت مكانته عند الناصر، وبلغ من النفوذ أن زوج ابنه لبنت الناصر، وصار بكتمر والناصر لايفترقان، وصار الناس يتقربون لبكتمر علي اعتباره الذراع الأيمن للسلطان، ومن المقربين جدا له، وعظمت امواله ونفوذه، وكان في اسطبله مائة سطل(كلمة فارسية معربة تعني الوعاء أو الطست المعد للعلف أو الماء. الزبيدي: تاج العروس مادة سطل، ١٩٩/٢٩. رينهارت: تكملة المعاجم، ٨٥/١) من النحاس، لمائة سائس لكل سائس ستة رؤس، أي أن اسطبله فيه ستمائة رأس، غير ماله في الجشارات (جشر مرج الخيل، ومراعي الإبل والدواب يقال عليها جشار، وهي الدواب التى تكون في المراعي ولا تعود الحظيرة أو الاسطبل ليلا. رينهارت : تكملة المعاجم، جشر، ٢١٥/٢)، وكانت له دار عظيمة علي بركة الفيل(الحلمية) ذكر المقريزي أنها من آجل القصور التي بناها الناصر=

الميدان المطل على بركة الفيل، قصد توسعة إصطبل هذه الدار، بإدخال قطعة من البركة، والبركة من أوقاف الملك الظاهر بيبرس البندقداريّ على ذرّيّته. فتقدّم إلى القاضي ابن الحريريّ[1] باستبدال ما يحتاج إليه من أرض البركة بما هو خير منها، كما هو مذهب الحنفيّة في استبدال الأوقاف[2].

=لبكتمر علي بركة الفيل، لتكون مستقرا لاخته التى تزوجها بكتمر، وموضع القصر الآن بمكان ماء في شارع مراسينا(عبد المجيد اللبان) بالسيدة زينب، وقد دثر البيت تماما، وقد توفي وهو في طريق عودته من الحجاز سنة ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣م، بعد موت ولده الأمير أحمد بثلاثة أيام وقال المقريزي: إن السلطان له دخل في موت ولده. للمزيد راجع الصفدي: الوفي بالوفيات، ١٢٣/١٠. المقريزي: الخطط، ١٢٥/٣. السلوك، ١٧٠/٣. محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ط١، ص ١١٨.

١ محمد بن عثمان بن أبي الحسن الحريري، من كبار فقهاء الحنفية، قاضي القضاة بدمشق والقاهرة، كان فقيهاً جيداً، له محفوظات جيدة، ودرس بعدة مدارس، وأفتى وشغل الطلبة وولي قضاء دمشق مدة سنتين، وانفصل منه، ثم طلب لقضاء مصر، وكان موصوفاً بالنزاهة لا يقبل لأحد هدية، وكان له حرص على خلاص الحقوق وفصل القضايا، وصحبته جيدة، ومودته أكيدة، ينفع أصحابه ومعارفه. توفي رحمه الله ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨م. الصفدي: أعيان العصر، ٥٦٥/٤.

٢ من المسائل التى تكلم فيها السادة الأحناف، فقد سئل بعضهم عن تلك المسألة فقال: " الاستبدال إذا تعين بأن كان الموقوف لا ينتفع به وثم من يرغب فيه ويعطي بدله أرضا أو دارا لها ريع يعود نفعه على جهة الوقف فالاستبدال في هذه الصورة قول أبي يوسف ومحمد وإن كان للوقف ريع ولكن يرغب شخص في استبداله إن أعطى مكانه بدلا أكثر ريعا منه في صقع أحسن من صقع الوقف جاز عند القاضي أبي يوسف والعمل عليه وإلا فلا يجوز ". ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ): البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي
الطبعة: الثانية، جـ٢٤١/٥. وراجع ابن عابدين الحنفي، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) : رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، جـ٣٨٤/٤.

فامتنع من ذلك، وفاوض، السلطان بسببه مفاوضة أدّت إلى تنافس. وآخر ما قال: لا أعرف هذه المسألة في مذهب أبي حنيفة، وإنّما هي رواية عن أبي يوسف، وأنا لا أعمل بها، ولا يجوز استبدال الأوقاف عندي. وقام من مجلس السلطان، وكلّ منهما قد امتلأ غضبا.[١]

ومن ذلك كذلك ما رواه ابن تغري بردي عند سرده لسيرة المؤيد شيخ المحمودي(٨١٥- ٨٢٤ هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)[٢] "وكان يشارك الفقهاء فى أبحاثهم ويتصوّر أقوالهم ويطرح عليهم المسائل المشكلة، هذا مع ميله لأرباب الكمالات من كل علم وفنّ، وتعجبه المداعبة اللطيفة" [٣]

كما هناك كتابا يحكي عن مجالس السلطان الغوري(٩٠٥- ٩٢٢هـ/ ١٤٩٩-١٥١٦م) رحمه الله [٤].

---

١ المقريزي : المقفي الكبير، ١١٠/٦.

٢ شيخ بن عبد الله، المحمودي الظاهري، الخواجا محمود شاه اليزدي، إلى القاهرة في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة(٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، فاشتراه الملك الظاهر برقوق وهو إذ ذاك أتابك العساكر وأعتقه. فلما تسلطن، جعله بعد مدة خاصكيا ثم ساقيا، واختص به، وتدريج في العديد من المناصب، وتقلبت به الأحوال بين الأفراح والأتراح، حتى ولي منصب السلطنة في سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م وظل بها حتة وفاته في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م . للمزيد ابن تغري بردي :المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق/ دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب:،جـ ٢٦٣/٦.۞ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام.، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، جـ١٨٢/٣.

٣ النجوم الزاهرة، ١١١/١٤.

٤ عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغوري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م. وراجع عثمان علي عطا: مجالس الشورى في عصر سلاطين المماليك، الدار الثقافية للنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

جـ- تقلد العلماء المناصب.

لم يقتصر تشجيع السلاطين على مجرد بناء المدارس والمعاهد الفكرية، ووقف الأوقاف، وتخصيص مخصصات وجرايات على طلاب العلم، ولا على عقد مجالس علمية، بل تعداه لتمكين هؤلاء العلماء من أرفع المناصب في دولة سلاطين المماليك.

ومن بين هؤلاء نذكر .

ابن الصاحب.

بهاء الدين علي بن محمد بن سليم، بن الحنا المصري، كان من العباد، النساك، مع كرم وجود، وحسن طباع، ونبيل أخلاق، بني رباطا[1] بالقرافة،[2]كان من العلماء المعدودين في عصره، بلغ من السلاطين مبلغاً عظيماً، أستوزه الظاهر، وفوّض إليه أمور مملكته مما يتعلق بالأموال والولايات والعدل لا يعارض في ذلك، ولا يشارك بل هو المتصل بأعباء ذلك، والمرجع إليه فيه، ولم يزل مستمراً على ذلك إلى حين وفاة الملك الظاهر – رحمه الله – فدبّر الأمور أحسن تدبير، وساس الأحوال في سائر المملكة، ومن مآثره إكرام الفقراء والمحتاجين، وكان أرباب الحوائج يتوسلون به، فيشفع لهم، وكان يجل المشايخ والصالحين ويوقرهم، ولما توفي الملك الظاهر، وولي ولده الملك السعيد(٦٧٦– ٦٧٨ هـ / ١٢٨٠م)، بالغ في إكرامه وإعظامه ولم تزل حرمته وافرة تامة ومكانته عالية، وكلمته نافذة، وأوامره مطاعة إلى حين

---

١ الرباط، في الأصل نوع من البنايات، أو الثكنات العسكرية، التي كان يرابط فيها المجاهدون، على حدود الدولة الإسلامية، وبعد ذلك اصبحت بمثابة، ثكنات للتجار او استراحات للتجار والرحاله وغيرهم، ثم انسحب بعد ذلك، على منازل الصوفية والتي تشبه الخانقوات، ولهم غرف صغيرة بهم تعرف بالخلاوي. للمزيد عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون،١١٦ .

٢ القرافة: بطن من المعافر، بها مقابر القادمين منها إلى مصر، وسميت بهم، الزبيدي: تاج العروس، ٢٥٢/٢٤، مادة قرف. ياقوت: معجم البلدان، ٣١٧/٤.

وفاته، وله برّ وأوقاف وكان يتصدق بالجمل الكثيرة سراً وجهراً، وله متاجر تعود نفقتها إليه فمنها معظم نفقاته وصدقاته، ت سنة ٦٧٧هـ/١٢٦٩م [١]

ولدينا كذلك ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، كان أبوه من كبار التجار، وله عناية بالعلم، مع معرفة بالأدب والشعر، وتوفي أبوه صغيراً، وحبب الله إليه العلم منذ صغره، فقرأ في الأدب والتاريخ، وسمع من كبار المشايخ والفقهاء والمحدثين والعلماء، والأدباء والمفكرين، كما تتلمذ علي يد العلماء الكبار في مصر والشام، وكان من أحفظ أهل زمانه ومن كبار حفاظ الحديث، ومن أروع وأبدع الذين شرحوا صحيح البخاري، وكان من أحفظ أهل العصر، ولي التدريس بمدرسة المؤيد شيخ، وكان المؤيد يجله ويقدره، ويتودد إليه، كثير الإقبال عليه، سأله أكثر من مره أن يتولى قضاء دمشق وفي كل مره يأبى، ثم قبل منصب القضاء في عهد الأشرف برسباي،ثم استعفى من ذلك، وظل يتولى منصب القضاء ويستعفي منه، وكانت له العديد من المواقف، التى تدل على صلابته في الدين، وعدم قبوله النقيصة في الدين، وقد توفي رحمه الله سنة،٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م [٢]

ولعلنا نلمس هنا، احترام السلاطين وتوقيرهم للعلماء، وتقلد كثيراً منهم العديد من المناصب، ولكن المقام لا يتسع لذكرهم كلهم، ولذا ذكرت بعض النماذج المدللة علي اهتمام الدولة بالحركة الفكرية والعلمية، الأمر الذى أدى لرواج حركة الوراقة في العصر المملوكي.

---

١ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٣/٣٨٤. النويري: نهاية الأرب، ٣٠/٣٨٨.

٢ الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ) : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق / كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ،جـ١/٣٥٦. ابن فهد الهاشمي، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثم المكيّ الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ): لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، صـ٢١٢.

من العوامل التي ساهمت كذلك في إثراء حركة الوراقة والنسخ والكتابة في عصر سلاطين المماليك.

الحالة الاقتصادية للدولة المملوكية .

تعد دولة المماليك، واحدة من أغنى الدول الإسلامية، الأمر الذى انعكس على الحركة الفكرية والثقافية، ولك أن تتخيل أن جمال الدين بن القاضي جلال الدين القزويني[١] عمر بيتا على بركة الفيل أنفق عليه مليون درهما، هذا بخلاف أمواله الجمه وخيله والأنعام والنعم التى حازها.[٢]

وقد وصف المقريزي حال الأمراء المماليك وتنافسهم علي العمائر في أكثر من موضع في كتبه، منها مثلا: ما ذكره عن عصر العمارة والإبداع عصر الناصر محمد بن قلاوون(٧٤١هـ/١٣٤٠م) حيث يقول: وعمر السلطان لأمرائه عدة قصور، فعمر قصر الأمير طقتمر الدمشقي[٣] بحدرة البقرة[٤]، وبلغ جملة ما صُرف عليه ثمانمائة ألف درهم، وكذلك قصر الأمير بكتمر الساقي، والذى تكلف مليون درهما، وكذلك السبع قاعات[٥] وهي أشبه

---

١ قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، كان كبير القدر، غزير العلم، ولي خطابة دمشق، ثم ولي قضاءها، ثم قضاء مصر، وقضاء دمشق،ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ١٢٩/٤. الصفدي: أعيان العصر، ٣٨٢/٢.

٢ الصفدي : أعيان العصر، ٧٢٥/٢ .

٣ الأمير طقتمر، طنبغا(لفظ تركي تعني الثور العجيب) الشمسي، أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون، كان شحيحا، ولما مات دفنه الناصر في تربة أعدها له خارج باب القرافة، وأوقف عليها أوقافا في أرض بركة الفيل ، مات في سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م. المقريزي: السلوك، ٥٢٠/٢. المقفي الكبير، ٢٢/٤

٤ سبق الحديث عن حدرة البقر، وهي مكان في الحلمية الآن بالسيدة زينب.

٥ السبع قاعات: أحد اهم المتنزهات والدور في عصر الناصر محمد بن قلاوون، ومكانها كما بين المقريزي، بناء يشرف على القلعة وباب القرافة، في مكان الآن يشغل المنطقة ما بين ميدان القلعة وميدان السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان الغرض من تلك المنشأة،=

باستراحة بقلعة الكبش، جعلها خصيصا متنزها لبناته ونسائه يشاهدنه اثناء نزوله وركوبه في ابهته مع حاشيته إلى الميدان تحت القلعة، وغير ذلك من الدور والقصور والعمائر والمنشآت الضخمة التى تبرهن علي عظم الدولة، وتماسك اقتصادها، وقوة عملتها، التى أثرت بلا شك على الحركة الفكرية والثقافية.

اضف لذلك أن هناك مؤثرات اقتصادية كثرة ساهمت في نماء وثراء خزانة الدولة المملوكية،

ولعل من أهم تلك المؤثرات، وجود طائفة مهمة في عصر سلاطين المماليك عرفت بالكارمية، وأصلها الكانم [1]، وهم مجموعة من الأفارقة، كانت تنحصر وظائفهم في تجارة البهار والفلفل وما غير ذلك من التوابل التى تأتي من الهند وغيرها، وقد بلغت تلك التجارة مبلغا عظيماً، حيث كانت من أهم مصادر الدخل في عصر سلاطين المماليك، ولسنا بصدد الحديث عن تلك التجارة، ولما ما خلفه هؤلاء التجار من أثر حضاري، فقد تحدث السابقون والمحدثون

=هو مشاهدة نساء السلطان للموكب السلطاني، وقيل: سميت بذلك تيمنا بالرقم سبعه، ولارتباطها بالنجوم والمعادن النفيسه، كما هو الحال في السبع سقايات، وقيل لأن عدد قاعاتها سبعة. للمزيد يرجي مطالعة المقريزي: الخطط، ٢٧٠/٣. وراجع مجدي علوان واخرون، مبني السبع قاعات، دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الأداب جامعة أسيوط، ١٣٦٩.

١ ذكرها ابن فضل الله العمري، وقال: على ضفاف النيل، بالقرب من دنقلة(النوبه) وذكر في موضع أخر أنها تبدأ من بلده اسمها زلا بمصر، وتنتهي ببلد يقال لها كاكا، وبينهما مسيرة ثلاثة أشهر، وعند مقارنة هذا النص بنص أخر للقلشندي، يتبين أنها تقع ما بين مصر والتكرور مالى الحالية. وقد حدد موقعها بعض الباحثين في عصرنا الحالي أنها بين بحيرة الغزال(جنوب السودان) وتشاد الحالية. للمزيد يرجي مطالعة، مسالك الأبصار، ٢٨/٣. ٩٥/٤. القلقشندي، ٢٦٩/٥. سعود العصفور، تجارة الكارم في العصر المملوكي، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد الثلاثون، ابريل، ٢٠٠٧، صـ١٥

عنهم حديثا شافيا، يغني عن تكراره مرة أخرى[١]، لكن ما يعنينا هو معرفة أن الكارمية كانوا أحد أهم مصدر الدخل في دولة المماليك، الأمر الذى انعكست ظلاله على الحياة الفكرية والحضارية بوجه عام.

صورة تبين تجارة الكارم، وإحدى السفن ترسو على المرفأ، ويحمل الحمالون أجولة من البهار ويخزنونها في حواصل مخصوصة، بالقرب من المرفأ. نقلاً عن الشبكة العنكبوتية
(https://midan.aljazeera.net/intellect/history/2019/10/17)

ناهيك عن كثرة أسواق مصر، وكثرة مواردها، وازدهار الحياة الزراعية، ممثلا في اقامة الجسور، ووجود ديوان أشبه بوزارة المالية، عرف وقتها بديوان النظر[٢] لضبط موارد الدولة.

كما كثرت بمصر ورش الخزف والفخار، والنسيج، وعمرت مصر بالعمائر المتنوعة، واستقامت فيها الحياة الاقتصادية بشكل كبير، لاسيما في فترات

١ للمزيد عن الكارمية وأثرهم يرجى مطالعة، النويري: نهاية الأرب، ٢٣٦/٣٣. القلقشندي: صبح الأعشى، ٥٣٦/٣. ٣٣٣/٤. سعود العصفور، تجارة الكارم في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، العدد٣٠. أنور جاسم العنكبي، الكارم وأثرهم في نشر الإسلام في إفريقيا في عصر المماليك، مجلة كلية التربية، بالجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٥م.

٢ ذكره المقريزي في خططه بقوله: " أما دواوين الأموال، فإنّ أجلّها من يتولى النظر عليهم، وله العزل، والولاية، ومن يده عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة" وقال عنه كذلك انه من أرفع الدواوين، وكل ديوان من دواوين المال إنما هو فرع منه . الخطط،٢٧٦/٢. ٣٩٠/٣.

الاستقرار، وعصر السلاطين العظام، كبيبرس وأسرة قلاوون، والظاهر برقوق وغيرهم.

تبقى لنا أخير اً، أن نتعرف على أخر العوامل التى ساهمت في تنشيط حركة الوراقة، في العصر المملوكي، الا وهي إنشاء المنشآت العلمية والمكتبات.

المنشآت العلمية والمكتبات وأثرها في رواج حركة الوراقة.

اتسم العصر المملوكي بنشاط فكري ومعماري وحضاري غير مسبوق، ولعل ذلك له أسبابه الوجيهة، من أهمها تحول دار الخلافة من بغداد إلى القاهرة، ورغبة السلاطين في الظهور بمظهر حماة الحمى وحراس العقيدة، وحصون الشريعة ودروعها، بجانب توافد المشارقة إلى مصر، بشكل هائل، محملين بأفكارهم وثقافتهم وفنونهم، التي ساهمت بلا شك في تشكيل الشخصية المصرية عصر سلاطين المماليك.

وبجانب ما ذكرناه من نشاط الحركة الاقتصادية، وقوتها عصر المماليك بسبب التجارة، وتحكم المماليك في تجارة الكارم، وكذا تحول طرق التجارة بسبب الغزو التتري لبلاد المشرق، بجانب المناوشات الصليبية على سواحل الشام، كل هذا أدى إلى أن تكون القاهرة عاصمة العالم الإسلامي، السياسية والفكرية والحضارية.

وإن كانت مكة هي قبلة المسلمين لأجل بيت الله الحرام يحجون إليها في كل عام، امتثالا لأمر الله، وتحقيقا لركن مهم من أركان الإسلام الخمسة، فإن الأزهر صار كعبة العالم الإسلامي العلمية، يحج إليها طلاب العلم ويقصدونها طلبا للعلم، والفكر، وطلبا للغوث من يد التتار، والصليبين، كل هذه العوامل شجعت السلاطين علي الإكثار من المنشآت المعمارية المتعددة والمختلفة، ما بين عمارة دينية وعمارة مدنية وعمارة عسكرية.

تمثلت في المساجد والمدارس والزوايا والخوانك والربط، والقياسر والرباع، وغير ذلك من عمائر .

وكان من أهم مميزات هذا العصر، وجود المكتبات المتنوعة، ما بين مكتبات عامة ومكتبات خاصة، كما أن من أهم سمات هذا العصر، أن العمائر على تنوعها، وتنوع منشئيها ما بين أمراء وسلاطين وعلماء، وكبار رجال الدولة، كانت تلحق بها مكتبات، وكان من مظاهر التنافس بين الأمراء والسلاطين، التفنن في احتواء واشتمال تلك المكتبات على أندر وأنفس المخطوطات والمنسوخات، في مصر والعالم أجمع.

ومما لا شك فيه أن المكتبات، لم تكن بدعا من المماليك، فقد عرفت مصر دور الحكمة، والمكتبات العامة والخاصة، منذ عصر مصر القديمة في حكم الفراعنة، والرومان، ومع دخول الإسلام لمصر، واهتمام الحضارة الإسلامية بتهذيب الروح، والسمو بها، وأن رسالة السماء في الأصل جاءت لتهذيب الأخلاق، ورفعتها واسعاد البشرية، ولا يتأتى هذا إلا بالعلم والمعرفة، ومن هذا المنطلق حرصت كل الدول الإسلامية التى مرت بمصرنا المحروسة على ترسيخ هذا النهج، بدء من جامع عمرو بن العاص أو الجامع العتيق، أقدم قبلة فكرية في مصر الإسلامية، مرورا بالجامع الطولوني[1]، ثم قاهرة المعز، وبناء الجامع الأزهر، ودار الحكمة[2] في عهد الحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١ هـ /٩٩٦-١٠٢١م) الفاطمي، ثم تحول مصر علي يد صلاح الدين، وعودتها مرة أخرى للمذهب السني بعدما ما حاول الفاطميون اختطافها نحو المذهب الشيعي، وقد استعاض صلاح الدين عن غلق الأزهر بعمل المدارس والخانقوات، وهي حيلة معمارية، وفكرة ثقافية لم تعرفها الشخصية المصرية

١ فوق ربوة عالية عرفت بجبل يشكر بالقرب من السيدة زينب، (٢٦٥هـ / ٨٧٩م) ومسجل برقم أثر (٢٢٠)

٢ دار الحكمة، إحدى المعاهد العلمية الكبرى في القاهرة الفاطمية، أنشأها الحاكم بأمر الله، بجوار القصر الغربي، في مواجهة الجامع الأقمر، افتتحها في سنة ٣٥٩ هـ/١٠٠٤م، وقد حرص الحاكم بتزويدها علي كل أنواع العلوم والفنون، وجلب أنفس المخطوطات إليها، حتي تنافس دار الحكمة أو بيت الحكمة في بغداد. للمزيد طالع، المقريزي: الخطط، ٣٧٩/٢.

من ذي قبل، فقد بلغت مدارس مصر في تلك الآونة، أكثر من عشرين مدرسة، خصصت لتدريس الفقه على مذاهبه الأربعة المشهورة، بجانب تدريس علوم اللغة والأصول والحديث، والعلوم العقلية، وكانت تلحق بكل مدرسة خزانة للكتب[1].

ثم جاء العصر المملوكي، وحدثت فيها طفرة فكرية وعلمية، هائلة، بسبب توافد المشارقة على مصر إثر سقوط بغداد، وانفتاح مصر علي العالم شرقا وغربا، وعودة الأزهر للحياة مرة أخرى علي يد عز الدين أيدمر الحلي، كما نوهت سابقا، بالإضافة إلى ازدهار مصر المملوكية، من النواحي السياسية والاقتصادية، والفكرية والحضارية بصفة عامة، ومدى انعكاسه على حركة الوراقة.

وقد عرفت الحياة العلمية في مصر المملوكية، تعدد أنواع المكتبات، وتبيانها، وانقسمت المكتبات إلى نوعين رئيسين: النوع الأول المكتبات العامة، والنوع الثاني المكتبات الخاصة.

أولا: المكتبات العامة ودورها في اثراء حركة الوراقة.

تميز العصر المملوكي، بتعدد منشآته ما بين منشآت دينية متنوعة، تنوعت ما بين مساجد، ومدراس، وخوانك، وربط وزوايا، وكتاتيب، وغيرها، وكذا منشآت مدنية، تنوعت بين قصور، ودور، وقياسر، ورباع، وخانات، وفنادق، وغيرها.

ولما كانت الحياة العلمية والفكرية، فى أوج عظمتها ومجدها عصر سلاطين المماليك، فقد راعى المعمار المسلم، أن يلحق بكل منشأة من تلك المنشآت مكتبة ضخمة، تضم بين ادراجها عددا وفيرا من الكتب، والنفائس من

١ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م ، ٦٥/٦.

المخطوطات، وقد تنافس السلاطين والأمراء في تزويد تلك المكتبات بأجود أنواع الكتب وأنفسها، وعهدوا بتلك المهمة إلى مجموعة من الوراقين والدلالين. ومن المتعثر جدا عمل احصائية لمكتبات هذا العصر الملحقة بمنشآته، وذلك لكثرة وضيق المقام، لذا سأكتفي بعرض نماذج لبعض المؤسسات.

أ- المساجد والمدارس والخوانك.

يعد العصر المملوكي، العصر الذهبي للعمارة الإسلامية، فبالنظر لعدد العمائر وبراعة عمارتها، وشموخها، وجمال صنعتها، يتضح أن هذا العصر بحق من أروع عصور العمارة والفنون.

وقد تعددت المساجد والمدارس، وكان من الضروري الحاق مكتبة بكل مؤسسة، وقد ذكرت المصادر نماذج عده منها مثلا: المدرسة الظاهرية والتى سبق التنويه لها،فقد شملت تلك المدرسة خزانة كتب، حوت امهات الكتب ونفائس المخطوطات[١]، وكان الوسيط في تزويد تلك المكتبة وغيرها الدلالين. كذلك هناك المدرسة الصاحبية البهائية[٢]، هناك كذلك جامع الحاكم بأمر الله، هذا المسجد العامر الذى كان منارة علمية وفكرية في قاهرة المعز، وفي عصر المماليك كذلك، فقد عني به العديد من سلاطين المماليك مثل بيبرس الجاشنكير (٧٠٩هـ-١٣٠٩م)، الذى أمده بخزانة كتب رائعة، شحنها بكتب عده في الفقه والحديث واللغة، وغيرها من العلوم[٣]

---

١ ابن دقماق: نزهة الأنام، ٤٠.

٢٢ إحدى المدارس المملوكية، بناها بهاء الدين بن حنا سنة، ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، بزقاق القناديل بالقرب من جامع عمرو بن العاص، كانت واحدة من آجل وأجمل مدراس القاهرة، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها ويتشاحنون في سكنى بيوتها، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة، ثم تلاشى أمرها حتى هدمت في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م. للمزيد عن المدرسة وترجمة منشئها يرجى مطالعة الخطط المقريزية، ٢١٣/٤.

٣ المقريزي: المقفي الكبير، ٣١١/٢.

هناك كذلك المدرسة المنكوتمرية[١]، التي خصص لها منشئها مكتبة خاصة ملحقة بها، اشتملت علي العديد من الكتب في شتى الفنون والمعارف[٢]

هناك كذلك المدرسة الصاحبية، بسويقة الصاحب، ذكرها المقريزي، وتحدث أن من أهم ما يميزها، الحاق مكتبة ضخمة بها[٣] وهناك كذلك المدرسة الملكية، المنسوبة للأمير آل ملك الجوكندار[٤]، ولعل أهم ما يميزها مكتبة ضخمة الحقت بها، وكانت مخصصة للفقه الشافعي[٥].

١ أنشأها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر فى سنة ٦٩٨ هـ /١٢٩٩م، وعمل بها درسا للمالكية وآخر للحنفية، وجعل فيها خزانة كتب، وأوقف عليها وقفا بالشام، وكانت من المدارس الجليلة. للمزيد الخطط المقريزية، ٢٣٨/٤.

٢ المقريزي : الخطط،/٢٣٨/٤.

٣ المقريزي: الخطط، ٢١٣/٤.

٤ تنسب هذه المدرسه للأمير سيف الدين ال ملك الجوكندار(مصطلح فارسي مكون من مقطعين وهما الجوكان وتعني عصا طويله برأسها خشبة مصنوعه بشكل مخروطي، معقوفة تضرب بها الكرة من ظهر الحصان، ودار تعني ممسك، والجوكندار، وهو لقب او وظيفة حامل تلك العصا للسلطان. راجع الدهمان: معجم الالفاظ التاريخية٥٦) أصله كان اسيرا من الابلستين(إحدى المعارك الفاصلة بين الظاهر بيبرس والمغول والتي وقعت في سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٧م وحقق المسلمون فيها فوزا عظيما. للمزيد عن تلك الواقعة طالع اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٤٦٧/٢.۞ ابن كثير : البداية والنهاية، ٢٧١/١٣) قدم مصر اسيراً في سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٨م، اشتراه المنصور قلاوون واهداه لزوج بنته بركه بن الظاهر بيبرس، وتنقل بين الأمراء حتى صار مملوكا لعلي بن المنصور قلاوون، وترقي في المناصب حتى صار نائباً للسلطنة زمن عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٢-٧٤٥هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م) وله مدرسته الرائعة في شارع ام الغلام بجوار المشهد الحسيني، وقد مات مقتولاً في سنة، ٧٤٧ هـ / ١٣٤٧م. المقريزي: السلوك، ٤٢/٤.

٥ المقريزي: الخطط، ٢٤٦/٤.

ومن أشهر المدارس بمصر المملوكية مدرسة محمود الاستادار[١]، قال عنها المقريزي:" وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلّا أن يكون في المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كلّ فنّ، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر"[٢]
وقد تحدث المقريزي عن جامع المؤيد شيخ(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)[٣] وعن خزانة كتبة الضخمة فقال: " جملة ما صرف في هذه العمارة إلى سلخ

١ هو محمود بن علي بن أصفر عينه جمال الدين الاستادار في أيام الملك الظاهر برقوق، جاء إلى حلب قبل أن يلي الاستادارية، ثم سافر إلى مصر، وبنى بالقاهرة مدرسة خارج باب زويلة، ووقف عليها كتب ابن جماعة التي اشتراها بعد موته وهي كثيرة جدا، وتنقلت به الأحوال، وحصل أموالا جزيلة تفوق الحصر، وصودر مرارا بعد الحرمة العظيمة والوجاهة بالدولة الظاهرية.
مات سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧م. وتقع هذه المدرسه الآن في شارع المغربلين، تحت أثر رقم ١١٧، وتعرف بجامع الكردي. للمزيد يرجي مطالعة المقريزي: السلوك، ٤٠٥/٥. ابن حجر: الدرر الكامنة، ٨٧/٦.

٢ الخطط :٢٥١/٤

٣ أحد المساجدي الكبرى والعظيمه بالقاهرة المملوكية، يقع بجوار باب زويله الحالي، كان موضع هذا المسجد سجن يعرف بخزانة شمايل، سُجن فيه المؤيد شيخ فنذر لله إن فك الله أسره وصار ملكا لمصر سيحول هذا المكان مسجداً من أجمل مساجد مصر، وقد شرع في بنائه في صفر سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، وبلغ من ضخامة العمل في هذا المسجد أنه احتاج لأكثر من ثلاثين بناء، وأكثر من مائه عامل مساعد، كانوا معروفين بالفعلة، ووقف عليه أوقافا عده، وصرف عليه أموالا جمه. وهو بالجمله من أجمل وأبهى العمائر المصرية الباقية من العصر المملوكي. للمزيد الخطط المقريزية، ١٤٢/٤.

صورة لواجهة جامع المؤيد شيخ المحمودي.

ذي الحجة سنة تسع عشرة على أربعين ألف دينار، ثم نزل السلطان في عشري المحرّم إلى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التي عملت هناك، قد حمل إليها كتبا كثيرة في أنواع العلوم، كانت بقلعة الجبل، وقدّم له ناصر الدين محمد البارزيّ[١] كاتب السرّ[٢] خمسمائة مجلد، قيمتها ألف دينار، فأقرّ ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزيّ بأن يكون خطيبا وخازن المكتب هو ومن بعده من ذرّيته."[٣]

ولم تقتصر المكتبات علي المساجد والمدارس فحسب، بل امتدت إلى الخانقوات[٤] كذلك، فقد كان في كل خانقاة مكتبة ملحقة بها.

وقد بلغ من عناية السلاطين بحركة المكتبات والوراقة، وعنايتهم بالكتب، أن جعلوا لتلك المكتبات الملحقة بمنشآتهم، قوانين واسس، وعليها قومه مهتهم

---

١ ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد البارزي، تولى كتابة السر ومنصب القضاء.تولى هذا المنصب في ٨١٦هـ/ ١٤١٣م وظل به حتي وفاته في٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م.. للمزيد القلقشندي: صبح الأعشى، ١٠/١.۞ المقريزي: السلوك، ٣٤١/٦. ۞الخطط، ٧٤/٣.

٢ قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها، وتسفيرها، وتصريف المراسم ورودا وصدرا والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها، وقد صار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة على حسب ما يرسم له به السلطان. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ٤٥٧/٣.

٣ الخطط ١٤٣/٤

٤ الخانقاه، أو الخانكاه، مصطلح فارسي مكو من مقطعين، وتعني مكان الصوفية، أو بيت الدروايش، وهو بناء معماري، يشبه المدرسة إلى حد كبير، حيث اشتماله علي اواوين وقاعات للدرس، مع اشتماله علي خلاوى للصوفيه، وكتبيات، وكان يلحق به مطبخ واحيانا مكتبا لتعليم أيتام المسلمين، بجانب سبيل، وقاعات مخصصة لشيوخ تلك الخانقوات، وعرفت مصر الخانقوات عن طريق صلاح الدين الأيوبي الذى اسس أول خانقاة في مصر، دار سعيد السعداء، أو الخانقاة الصلاحية، أثر رقم،٤٨٠، ٥٦٩هـ/١١٧٣م. للمزيد طالع عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون، صـ٩٢.

حماية تلك الكتب، وضبط اعارتها، من ذلك ما كان في القبة المنصورية التى أنشأها المنصور قلاوون، حيث خصص للمكتبة موظفا قيما عليها، يحفظ ما فيها من الكتب، ويضبط ما يؤخذ منها للاشتغال بها، بحيث لا تخرج الكتب من المدرسة، ويصرف له فى كل شهر ثلاثين درهما أو ما يقوم مقامها من النقود.[١].

هذا ولم تقتصر حركة انشاء المدارس على المساجد والمدارس والخوانك والمؤسسات العلمية داخل مصر العاصمة وحسب، بل تعداها خارج حدود مصر[٢] إلى مدن وأقاليم أخرى، فقد ذكرت بعض المصادر، نصوصاً تفيد أن الظاهر بيبرس، حول كنيسة بالإسكندرية إلى مدرسة وسماها بالخضراء، وأنفق عليها أموالاً جمة[٣]، ومما لاشك فيه أن من جملة ما صرف عليها خزانة لكتبها، قياساً علي المدارس الأخرى في هذا العصر.

هناك كذلك المدرسة السراجية التي ذكرها البلوي في رحلته فقال: " ولما نزلنا بالمدرسة السراجية الحافلة، وجمعت فيها بين الفريضة والنافلة، صادف نزولي بها قدوم مدرسها الأكبر وإمامها الأشهر، الشيخ الفقيه العالم؛ مفتي المسلمين؛ شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح المرحوم؛ شرف الدين أبي الروح عيسى بن أبي الحسن علي بن أبي الحسن ... الكناني الشافعي[٤]، واستقررت منها بمسكن مجاور لمسكنه، حيث مأوى تدريسه، وخزانة كتبه[٥] وهناك العديد من المدارس والخوانك والمساجد في مصر بشتى بقاعها ومدنها

١ النويري: نهاية الارب في فنون الأدب، ٣٢/٧٠.

٢ اقصد بمصر هنا القاهرة مضاف إليها العواصم الثلاثة السابقة عليها.

٣ للمزيد يرجى مطالعة، اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٣/٦. النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٠/٣٧٨. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ٨/٢٧١.

٤ لم اعثر له علي ترجمه

٥ البلوي، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (تاريخ البلوي)، تحقيق الحسن بن محمد السائح، طبعة اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين دولتي المغرب والإمارات، ٢/٦٨

وضواحيها، وقد حرص المعمار المسلم علي أن يجعل المكتبات من الوحدات المعمارية الملحقة بعمارة المنشآت الدينية والتعليمة في مصر المملوكية، وذلك انطلاقا من حرص الأمراء والسلاطين وكبار رجال الدولة والمفكرين والمثقفين، علـى اقتنـاء الكتـب وتزويـد مؤسسـاتهم بمـا تحتـاج لـه مـن مـواد وكتـب ومخطوطات للعامة، وطلاب العلم في مدارسهم.

خزانة الكتب.

كذلك انتشرت خزائن الكتب، والتي يعبر عنها بالمكتبات العامة في عصرنا الحاضر، عصر سلاطين المماليك، وقد خصص القلقشندي مبحثاً خاصاً عن خزائن الكتب، وتحدث فيها عن اهتمام الخلفاء والحكام بشأن المكتبات العامة، وتزويدها بكل ما يحتاج إليه العالم والمتعلم، ثم تحدث عن خزانة الخلفاء العباسيين، وكذلك الخزانة الفاطميين، وخزانة الخلفاء الأندلسيين.[١]

ولا شك أن ما فعله الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)من تأسيس دار الحكمة، حتى تكون مكتبة عامة، ومنبراً لطلاب العلم، سيما ومعظمهم من الفقراء، تعينهم على طلب العلم[٢]، بجانب رغبة الملوك والحكام، أن تكون تلك المكتبات بمثابة قربانا لله تعالى، يتقربون به لله حال حياتهم، وتكون صدقة جارية بعد مماتهم.

فقد أحصى الذهبي جملة ما خلفة الفاطميون من نفائس في المكتبة الملحقة بقصر الخلافة وحدها، فوجدها أكثر من مائة وعشرين ألف مجلداً!![٣].

١ صبح الأعشى،٥٣٨/١. وراجع الفيكنت فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، الناشر: وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة – لبنان، سنة النشر: ١٩٤٧م.

٢ فليب دي طراز: خزائن الكتب، ١٠١/١.

٣ تاريخ الإسلام، ٢٢٥/١٢.

كما أشار المقريزي إلى تلك المكتبة واهتمام الدولة بها وتنظيمها فقال:

" كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني: المارستان العتيق[١]، فيجيء الخليفة راكبا، ويترجل على الدكة المنصوبة، ويجلس عليها، ويحضر إليه من يتولاها، وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القويّ، فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة[٢]، وغير ذلك مما يقترحه من الكتب، فإن عنّ له أخذ شيء منها أخذه، ثم يعيده، وتحتوي هذه الخزانة على عدّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات، وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات... فمنها الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة، وكتب الحديث والتواريخ، وسير الملوك، والنجامة، والروحانيات، والكيمياء من كل صنف النسخ، ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة، وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مقلة، ونظائره كابن البوّاب وغيره... " [٣]

---

١ أحد أهم الأثار الفاطمية، كان بمكان يعرف بالقشقاشين وعرف بعد بالخراطين بالقرب من موقع الجامع الأزهر، فلما زالت الدولة الفاطمية، وملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية واستولى على القصر، كان في القصر قاعة بناها العزيز بن المعزّ في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة(٣٨٤ هـ/ ١٠٩٠م)، فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستانا، وهو البيمارستان العتيق الذي داخل القصر وذلك في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. القلقشندي : صبح الأعشى، ٤١٧/٣. ۞المقريزي: الخطط، ٢٨٧/٢.

٢ الخط المنسوب: تعني الخط الجميل المنمق، المهندس، الخاضع للنسب والقوانين، وقد ورد هذا اللفظ كثيرا في العديد من المصادر، دلالة على العديد من الكتاب والخطاطين المجيدين ولعل من أهمهم ابن مقلة (٣٢٨هـ/٩٤٠م) وابن البواب (٤٢٣هـ/١٠٣٢م). للمزيد راجع . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩٢/١٥. ۞ياقوت : معجم البلدان، ٤٢٩/٤.۞ ابن خلكان: وفيات الأعيان،٣٤٢/٣. ۞النويري: نهاية الأرب ، ٣١٣/٢٩.۞القلقشندي: صبح الأعشى، ٥٤٥/٣.۞ رينهارت : تكملة المعاجم، ٢١٠/١٠.

٣ الخطط: ٢٩١/٢.

كما أشار كذلك لعظمة تلك الخزانة وعظم ما فيها، فقد ذكر في حوادث سنة، ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م أن خزانة الكتب احترقت، وضاع منها نفائس كثيرة جدا في شتى العلوم والفنون، وأن العامه والدهماء تحصلوا منها، علي نفائس غاليه بأسعار زهيدة!![1]

مما يعني أن خزانة الكتب ظلت قائمة، وظل المماليك مع اهتماهم ببناء المؤسسات الدينية والمدنية والحقاهم بكل مؤسسة مكتبة ضخمة، مهتمين بأمر المكتبات العامة، وتوفير سبل المعرفة والتنوير عند طلاب العلم بصفة خاصة وعموم الناس بصفة عامة .

ولم تقتصر المكتبات علي مجرد المكتبات العامة وحسب بل تعدتها إلى ما يعرف بالمكتبات الخاصة.

المكتبات الخاصة

لم تقتصر مسألة انشاء دور للمعرفة، ونشر الثقافة والفكر على الأمراء والحكام والسلاطين، بل تعدتها إلى العديد من أبناء الشعب، لاسيما العلماء والمفكرين، فقد حرص جلهم إن لم يكن كلهم على أن تكون لديهم مكتباتهم الخاصة بهم.

ومن بين هؤلاء نذكر:

- الشيخ الصدر[2] الفاضل، الأديب المحدث، ناصر الدين شافع بن علىّ بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكنانىّ العسقلانىّ ثم المصرىّ، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، أحد كتاب الإنشاء بمصر، كان أديباً بارعاً،

---

١ الخطط ٣/٣٧٠.

٢ الصدر في اللغة أعلى مقدم كل شيء، وأوله وكل ما واجهك يسمى الصدر، لوجوده في الصدارة والمقدمة ، وقيل عنه ان الصدر لقب في التجار والعلماء، ونحوهم ممن لهم الصدارة والمقدمة، والمراد به هنا العالم، النحرير الذى ذاع صيته وفاقت شهرته الخافقين، فصار مقدماً على غيره، وعرف بالصدر . الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٤٢٣، مادة صدر. القلقشندي: صبح الأعشى، ١٨/٦.

ومؤلفاً يافعاً، وناظماً مجيداً، وله مكتبة بها من النفائس ما بها، وقد توفاه الله شهيداً بإذن الله في موقعة حمص في العام المذكور[١]

- الجاي[٢] الناصري[٣]، أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون[٤]، هذا الرجل الذى كان محباً للعلم، ولم يكتفي بمجرد تجشيع العلماء، بل كان مشاركاً وفاعلاً في الحياة الفكرية، فقد كان يكتب الخط الحسن المجود، كما كان فقيهاً على المذهب الحنفي، محباً لاقتناء الكتب، له مكتبة نفيسه، محبا لمجالسة العلماء وقد توفي رحمه الله في سنة ٧٣٢ هـ/ [٥]

- ومن ذلك ايضا ابن هبة الله بن المسْلِم، محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبرهيم بن هبة الله بن المسلم، يعود نسبة للأنصار، ويعرف بابن البارزي، ولد في سنة ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٤م، ونشأ في كنف أبيه في حماه، وحفظ القرآن والمتون، ثم جاء إلى القاهرة في سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، وتفقه وبرع في العلوم والفنون والآدب، وناب عن أبيه في كتابة السر، ثم استقل بها في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤١٢م، ثم ولي نظر الجيوش، كما ولي منصب القضاء، ثم تركه وعاد إلى الشام، فخطب بالجامع الأموي،

---

١ للمزيد طالع، النويري: نهاية الأرب، ٣١٧/٣٣. المقريزي: السلوك، ١٣٦/٣. ابن تغري بردي، ١٣٦/٣.

٢ كلمة تركية تعني إقبال. عبد الله عطية حافظ، معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام، دار النيل ، القاهرة. صـ٦٤

٣ الناصري: نسبة إلى الناصر محمد بن قلاوون.

٤ الْأَمِير سيف الدّين الدوادار الناصري، تولى العديد من المناصب في دولة الناصر، بدأ أمره دواداراَ صغيراً، ثم ترقي إلى ان وصل إلى الدوداريـة الكبرى (ظيفة الدوادار الدوادارية، وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص (والعرائض) إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف، وأخذ خط السلطان على عامة المناشير والتوقيعات. صبح الأعشى ١٩/٤.) كان نزيها خيراً محبا للعلم وأهله. توفي في التاريخ المذكور للمزيد راجع الصفدي الوافي بالوفيات، ٢٠٤/٩.

٥ الخطط، ١٢٣/٣

ثم أعيد إلى القاهرة مرة أخرى، وولي كتابة السر، وقضاء دمياط، وكان إماما، عالما، ذكيا، عاقلا، كريما، سيوسا صبوراً، حسن الخلق، والخلق والعشرة متواضعًا محبًا في الفضلاء، وذوي الفنون مكرما لهم إلى الغاية لا سيما الغرباء حتى صار محطا لرحالهم، راغبا في اقتناء الكتب النفيسة غير مستكثر لما يبذله في تحصيلها عجبا في ذلك سمحا بالعارية جدا ممدحا امتدحه الفحول من الشعراء.[1]

وهناك العديد من الأسماء التي تحتاج إلى بحث خاص، فهناك مثلا ابن خلدون وابن أيبك، والمقريزي والبدر العيني وابن حجر، كل هؤلاء كانت لهم مكتبات خاصة بهم.

صفوة القول :

مما لا شك فيه أن وجود مثل هذه المكتبات، على كثرتها في المساجد والمدارس والخوانك، والزوايا والمارستانات، وخزائن الكتب، والمكتبات الخاصة، ساهم بالنصيب الأوفر في رواج حركة الوراقة في عصر سلاطين المماليك، فقد كانت أسواق الوراقة، وحوانيت الوراقين المجاورة للأزهر، ولمدرسة الأشرف برسباي، التى كانت في الأصل جزءً من تلك الأسواق والحوانيت، بمثابة دوراً للنشر والطباعة التوزيع، بمفهوم عصرنا الحالي.

ولما كانت الكتب هي السبيل الوحيد للمعرفة والتنوير، وهي الاداة الإعلامية الوحيدة تقريبا، لدى المجتمع المصري، وهي سبيل الشهرة والصيت والثراء، لما لا ونحن نرى التوجه العام للدولة في تلك الآونة يهتم ببناء المؤسسات العلمية والتعليمية، ويتنافس الأمراء والوزراء والعلماء وأرباب الفكر والثقافة، بل وبعض التجار كذلك في إنشاء تلك المؤسسات والمبالغة في عمارتها، وتنميقها وزخرفتها، والحرص على الحاق أفضل الكتب وأنفسها، خدمة للعلم وطلاب العلم، بل وخدمة للمجتمع بآسره.

---

١ السخاوي: الضوء اللامع، ٢٣٦/٩.

كل هذه الظروف سالفة الذكر جعلت من الوراقة مادة خصبة، ووسيلة من أفضل وسائل الكسب والعيش والرغد في كنف الدولة المملوكية في مصرنا المحروسة.

وأخيرا أعرض لبعض نماذج من الوراقين في مصر في عصر سلاطين المماليك.

نماذج للوراقين

١- وجيه الدين البهنسي :

أحد كبار أئمة عصره، كان إماماً في الفقه، والحديث، والأدب وغيرها من العلوم، أصله من البهنسا إحدى قرى مصر، نشأ بها، وتعلم بكتابها القرآن وأصول الحساب، ثم انتقل إلى القاهرة فأكمل تعليمه، وتلامذته على كبار مشايخها. [١] ومن شيوخه الذين ذكرتهم المصادر،

شيخ الإسلام شيخنا العز بن عبد السلام [٢]

كان فقيهاً، أصولياً، نحوياً، متديناً، بدأ حياته في أسواق الوراقة، حيث كان يعمل وراقاً[٣]، ويبدو أن عمله في مهنة الوراقة، والنسخ، والكتابة أكسبه، قدرات فائقه، وخبرات كبيرة، مع ما اكتسبه من علوم ومعارف، على يد مشاهير مشايخ مصر في تلك الآونة، حتى آهله هذا لتولي منصب القضاء، وذلك في سنة ٦٨١هـ/ ، وقد ولي العديد من المناصب القضائية، والتدريسية، فجمع بين قضاء القاهرة والوجه البحري، وقضاء الوجه القبلي، ثم أستقر في قضاء الوجه القبلي، كما ولي القضاء على إقليم الغربية، وقضاء الشام.

---

١ ضنت المصادر بالحديث عن تلاميذه وشيوخه.

٢ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ): طبقات الشافعية، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ،جـ٢/ ١٨٣.

٣ الزركلي: الأعلام، ١٨٢/٤.

كما درس بجامع السراجين بالقاهرة [١] كما درس بجامع عمرو بن العاص، وغيرها من المؤسسات العلمية والفكرية. وكان مع نزاهته وعفته، مليحاً، طريفاً، فمن ملحه ونوادره، أن طالباً، ذات يوم قال له :

أنا هنا في هذا الموضع منذ أربعة سنين وحفظت أربعة كتب، وجامكيتي[٢] أربعة دراهم، وقد كسر الطالب الهاء في جميع المواضع التى تحدث فيها مخالفاً لقواعد اللغة .

فقال له: الشيخ وجيه الدين، يا فقيه (طالب) من بنى أربعتك علي الكسر؟![٣]

ومن طرائفه، كان يتجادل ذات يوم هو وأحد المشايخ الكبار في مسألة ما، وزادت حدة الكلام بينهما، وبلغ النقاش بينهما مبلغاً عظيماً، فقام أحد الطلاب يتكلم بينهما، فأسكته الوجيه وقال: فروج يصيح بين الديكة ! [٤]

---

١ يقصد به جامع الظافر، وكان موضعه قديما في مكان يعرف بسوق السراجين (ويقصد بهم باعة الجلود أو السروج للخيل، وقد أستجد هذا السوق في عصر المعز أيبك التركماني، ثم تغير مسماه بعد ذلك . راجع ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ص ٥٦.) وقد بني هذا المسجد الخليفة الفاطمي الظافر ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وعرف بجامع الفاكهيين كذلك، وهو الآن بشارع المعز بعد منطقة الغورية في طريق المتجه من الغورية نحو باب زويلة. للمزيد المقريزي: الخطط، ٨٤/٤.

٢ الجامكية لفظ فارسي معرب تعني الأجرة والراتب وما في هذا المعنى. وأصلها المال المخصص للملابس، ثم صارت علماً على رواتب الموظفين. رينهارت: تكملة المعاجم، ١٢٧/٢.

٣ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، جـ٣١٧/٨.

٤ السبكي: طبقات الشافعية، ٨/ ٣١٨

وقد توفي رحمه الله سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، ومن مؤلفاته شرح مثلث قطرب[١] وهو مخطوط.[٢]

٢- السراج الوراق.

أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن، الشاعر والوراق المشهور، ولد في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م، المتوفي في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م، نشأ الوراق، في أسرة فقيرة من عائلات القاهرة، ثم حفظ القرآن صغيرا، وتعلم معه أصول الكتابة، وأجاد الخط، والأدب، وغيرهما من الفنون والعلوم، واجاد نظم الشعر والنثر، حتى آهله هذا أن يكون كاتباً في الديوان.

صدر ابن فضل الله العمري به تراجم الشعراء في كتابه، وأفاض واجاد في وصفه، فقال بانه سراج، لو قدح به زند الفجر لأنار، ولو شبت بناره الرياض،

---

١ أبو على محمد بن المستنير، نشأ بالبصرة، ولم تنقطع صلته ببغداد. وله مؤلفات منها: كتاب الأضداد وكتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة. والأزمنة، ومثلث قطرب، يقال: إنه إنما سمي قطربا لقول سيبويه، وكان يخرج بالأسحار، فيجده على بابه حريصا على التعلم: إنما أنت قطرب ليل، وقد توفي رحمه الله سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م. محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ): طبقات النحويين واللغويين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف، صـ٩٩.أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ): تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. صـ٨٣

٢ للمزيد طالع : النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١/ ٨٣.۞ الذهبي تاريخ الإسلام، ٥٤١/١٣.۞ الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ) : طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م. ١٣٦/١. ۞ابن الملقن: نزهة النظار، في قضاة الأمصار، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٩٩٦م، صـ٢٠٦.۞ الزركلي الأعلام، ٤/ ١٨٢

لعممت كل منابتها بالنّوّار، أحد فحول الشعراء، كتب لولي مصر الدرج[1][2]، وجمع لنفسه شعره فجاء ما يربو على ألف ورقة[3] منها قوله من الكامل:

" شَجّتْ جَبينَ مُدامها بالماءِ.... فَبَنانُها مِنها خَضِيبُ دِماءِ

زَمَّتْ أَشعتُها الدُّجَى فمضَى وَقد .... سَلَبَ الحَبابُ قِلادَةَ الجَوْزاءِ

وَبَدَتْ على وَجَناتِ مَنَ طافتْ بها....فَرأَيتُ جَذْوَةَ مارِجٍ في ماءِ

حَمراءُ تُسكِرُ مِن جفونِ مُدِيرِها....ما أَشبهَ الحمَراءَ بالحَوْراءِ "[4]

وهنا نجد براعة الورق وسعة ثقافته، وإلمامه بالعديد من العلوم والفنون، فهو هنا يصور أحد المجالس، تصويرا بلاغياً، وأدبياً رائعاً وماتعاً.

وقد ترجم للوراق، ابن فضل الله العمري، فكان مما قاله فيه:

" سراج ما برح لسانه يلهج، وإحسانه في تجلية الظّلم ينهج، طارت أجنحة ضرمه بالسّمعه، وتوقّد منه السّراج وقد شرقت بالبكاء الشّمعه،وكان في شعراء

---

١ سيف الدين أبو بكر بن إسباسلار(مقدم الجند أو العسكر) والي مصر، ت ٦٧٩هـ/ ، وكان عظيم اللحم والشحم، يقال إن شحمه ولحمه سبب وفاته، فقد أفرط فيهما، حتى حذره الأطباء من النوم أو الاستغراق فيه، وما أن غلبه النوم حتى مات في العام المذكور. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١/ ٧١.۞ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٤٢/١٠.

٢ كاتب الدرج أو كاتب الإنشاء أو الموقع ، أحد المرادفات لصنف من الكتاب، اشتهر منذ عصر الدولة الفاطمية وذاع صيته، في دولة بني أيوب والدولة المملوكية، وسمي الموقع لأنه كان يوقع بالقلم الجليل، ووظيفته، كتابة المكاتبات والولايات وغير ذلك، والدرج في اللغة القرطاس أو الورق الملفوف. القلقشندي، صبح الأعشى، ٦٠٠/٣. ٤٣٧/٥.۞ رينهارت : تكملة المعاجم العربية، ٣١٦/٤.

٣ هناك دراسة تحدثت خصيصاً عن شعر الوراق ونبذه عن حياته . أنظر ميسر حميد سعيد: سراج الدين الوراق، حياته وشعره، جمع ودراسة، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية اللغة العربية، بجامعة أم القرى، بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٤ مسالك الأبصار،٢٢/١٩.

ذلك العصر على توقّد جمهرتهم، وتوقّي نيران أسرتهم [١]، هو المغشىّ ناره دون القبيله، والمشكور بما يعاب به غيره من طول الفتيله، ولم تسطع تلك الرّياح الهوابّ في إمالة شعلته، ولا في إماتة مصباحه، ظمآن بغلّته ، وكان لو قدح به زند الفجر لأنار..... " [٢] وغير ذلك من المدائح التى ذكرها في وصفه، ووصف لسانه وبلاغته، وأدبه، وشعره، وسعة اطلاعه وثقافته.

ومما تميز به صاحبنا، الغازه في أشعاره، وتوازناته السياسية والاجتماعية، فقد تميز شعره بالألغاز، وتعددت أغراضه الشعريه، ما بين مدح ورثاء، ولكن غلب على شعره المدح، وغلب عليه كذلك مانسميه الآن بالكوميديا السوداء، أو الكوميديا السياسية، ولست هنا في حاجة لتحليل، أشعاره وأفكاره، ولكن ما يعني به البحث، هو ضرب نموذجاً لأحد الوراقين البارعين، في عصر دولة المماليك البحرية، ولعل هذا يكشف عن قوة هذا العصر، وأن الوراقة في تلك الآونة لم تكن مجرد، مهنة بسيطة، بل كانت حوانيت الوراقين، أشبه بكبريات دور النشر الآن، وبجانب عملها الأساسي في نشر الكتب وبيعها، والإعلان والإعلام عنها.

كانت كذلك منتديات ثقافية وفكرية، تقام فيها المبارزات الشعرية، والمناظرات الفكرية، والمحاورات الشعرية والأدبية.

ولعلنا نلمس هذا في أشعار الوراق، ولذا آثرت أن أقلب في بعض صفحاته شعره، بصورة سريعة وموجزة، كاشفا اللثام عن بعض جوانب شخصيته.

فمن ذلك قوله:

أمولانا الأمير وأنت سمح ..... يجيب نداك من قبل النداء

لقد برد الهواء علي فأرحم..... فما حال السراج مع الهواء [٣]

---

١ ولعل في تلك العبارة، إشارة إلى بزوغ نجم الأدب والشعر في هذا العصر بعكس ما يلمح البعض.

٢ مسالك الأبصار، ١٩/١٦.

٣ ابن فضل الله العمري : المسالك، ١٩/ ٢٦ .

وهو في تلك الأبيات يداعب الحاكم والأمير، بقطعة شعرية ماتعة، يشكو فيها حاله، بأدب وخفة ظل، تميز بها الوراق عن غيره.

وقد بلغ من وصف فاقته، والتي (أشك في صدقه في وصفها) قوله:

عندي منديل إذا غسّلته ... غسّلت ماء جاريا بماء

لا أستطيع نشره مخافة ... عليه من غائلة الهواء [١]

أي أن منديله قد أذبته عوامل الدهر نظراً لقدمه، فصار كالغربال، أو أشبه بالماء، تذروه الرياح!

وكتب مادحاً، في الملك المظفر صاحب حماه[٢] :

إليك بالإذن صار الناس والجود ... فلا عدمنا فقيدا فيك موجود

وللرّبيع لسان ظلّ ينشدنا ... النّبت أغيد [٣] **والسّلطان محمود**

وأقبل الغيث منه حاجبا ملكا ... كم شاع يوما له بالنّصر مشهود

والنّيل كم حسد القاضي على ملك ... تصوّر الجود فيه بل هو الجود

ملك يصدّ بنعماه القلوب على ... ما هذّبته به آباؤه الصّيد

فيا لجدود العوالي والجدود معا ... لواؤه حيث حلّ النّجم معقود [٤]

---

١ السابق : ٢٨/١٩ .

٢ السلطان الملك المظفر، تقي الدين محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب، رحمه الله تعالى، ومولده في ليلة الأحد خامس عشر المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة،٦٥٧هـ/، فيكون عمره إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام، وملك حماة من حين توفي والده في حادي عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة،٦٨٣هـ/ ، فيكون مدة ملكه خمس عشرة سنة وشهراً ويوماً واحداً، مات بالحمى. للمزيد راجع أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ٤١/٤.

٣ أي شجر طويل متمايل، وفيه دلالة على العطاء والتجدد. راجع ابن سيده : المخصص، ١٤٣/٣.

٤ مسالك الأبصار: ٣٥٤/١٩.

وقال يرثي الشيخ الرشيد[١] رحمه الله فقال:

دمعي على الشيخ الرشيد مرسل ... وحزن قلبي أبدا مسلسل
بكى دما جفني القريح بعده ... لو بالجريح يفتدى المعلل
أين إمام في الحديث مثله ... تضرب آباطا إليه الإبل
ذاد عن السنة كل مفتر ... به جلي الداجي وحل المشكل
وكان في علم الرجال أوحدا ... بحيث قال العلم: هذا الرجل
أتقنهم معرفة بقول ذا ... مستعمل وقول ذاك مهمل
ومن سوى العطار يدري سرهم ... والناس منهم حطب ومندل
يا جامع ابن العاص قد أوحشت من ... جارك واستوحش صف أول
عهدي بصدر لك منه حاليا ... قد عاد وهو بعده معطل
لله ما ضم التراب من حجى ... يطيش رضوى عنده ويذبل
ومن عفاف وتقى وكيف لا ... والعلم أس لهما والعمل[٢]

وكانت علاقته بالصاحب ابن بهاء[٣] علاقة وطيدة فكتب يمدحه في العديد من أشعاره.

---

١ أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي ابن العطار، المالكي الأديب والفقيه والمحدث، أحد أشهر علماء مصر في عصره وزمانه، مات رحمه الله، ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م، كان ثبتاً، حافظاً، انتهت إليه رياسة علم الحديث في عصره . للمزيد. الصالحي: طبقات علماء الحديث، ٢٣٠/٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٦٥/١٥.

٢ ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ) : فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٤م، ٢٦٩/٤.

٣ بهاء الدين علي بن محمد بن سليم، أحد الوزراء المعدودين والمشهورين في أواخر عصر الدولة الأيوبية وبدايات عصر دولة المماليك، كان كريماً، جواداً، سخياً، من بيت فضل وعلم، كان فقيهاً، شافعياً متديناً، محباً لأهل الخير، من محاسنه أثر النبي ﷺ،(القصعة=

من ذلك قوله:

تـــــرومُ صـــــبري دون ذاك الـــــرّيم هيهـــاتَ لمـــتُ عليـــه غـــير ملـــومِ
لـــو شـــاهدَت عينـــاكَ مـــا شـــاهدتُه لرجعـــــتَ في أمـــــري الى التّســـــليم
مُخضـــــرُّ آسٍ[1] واحْمِـــــرارُ شـــــقائقٍ أنـــــا منهُمـــــا في جنـــــة وجحـــــيمِ
ومعـــــاطفٌ مـــــن دونهـــــنّ روادفٌ أنـــــا منهمـــــا في مقعـــــد ومُقـــــيم
سَـلْ طرفَـه عـن شعره الـدّاجي فلـن يُخـبرك عـن طـول الـدُجى كسـقيم
يـــا غُصـــن قامتـــه إليـــك تحيـــتي مـــع كـــل مـــاطرةٍ وكـــل نســـيم
إن الجمـــال لـــه بغـــير مُنـــازع والوجـــدُ لي فيـــه بغـــير قســـيم
وكـذا العُـلا لمحمّـد بـن محمّـد بـ ـــن علـيّ بـن محمـد بـن سـليم
نسـبٌ كمطّـرد الكُعـوب فـلا تَـرى إلا كريمـــاً ينتمـــي لكـــريم[2]

وقد مدحه العديد من الشعراء وكبار الأدباء في عصره منهم الجزار[3]

فقال فيه:

إن السراج نسيم الريح يوقظه ... إلى فوائد كالابريز ينتقد

=والمرود النحاس والمخصف)،أشتراهم بستين ألف درهماً، وجعلهم وقفاً على رباطة ببركة الحبش، بخلاف الأوقاف الكثيرة التى أوقفها في وجوه البر والخير،وقد توفي رحمه الله وأجزل مثوبته في سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٣م. للمزيد راجع ابن أيبك: كنز الدرر، ١٥٢/٩. المقريزي: السلوك، ٣٨٥/٢.

١ الآس أو المرسين، نبات طويل الورق، دائم الخضرة. للمزيد النويري: نهاية الأرب، ٢٣٩/١١.

٢ الصفدي : أعيان العصر، ١٢٢/٥.

٣ يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار الأديب المصري؛ ولد سنة ثلاث وستمائة تقريباً، وتوفي ثامن عشر شوال سنة تسع وسبعين وستمائة بالفالج، وكان بديع المعاني جيد التورية عذب التركيب فصيح الألفاظ حلو النادرة، صاحب مجون وزوايد، يمدح الملوك والكبار، وكان يتزيا بزي الكتاب، عاش مرتزقا بالشعر . للمزيد عن هذا الأديب الأريب. راجع . ابن شاكر: فوات الوفيات، ٢٧٧/٤.

يزيده الريح ايقادا لخاطره ... وما رأينا سراجاً في الهوى يقد [1]

والحديث عن نبوغ الوراق، وذيوع صيته وبلاغته، وحياته يحتاج إلى بحث متفرد، يلم بتلك الظاهرة، إلماماً، وافياً، إنما أردت أن أطوف سريعا، حول أحد الوراقين، للوصول إلى نتيجة مفاداها، أن الوراقة في عصر سلاطين المماليك، كانت رائجة، وأن حوانيت الوراقين كانت مكتظة بالعلماء والمفكرين والأدباء.

وأن الوراقين لم يكونوا مجرد نساخ أو كتاب، تتوفر لديهم ملكة الكتابة وحسن الخط، وحسب، بل كان منهم الأديب والشاعر، والمؤرخ، والمفكر.

أي أنهم تذوقوا ما بين أيديهم، وفقهوا وفهموا قيمة ما ينسخونه، فأنعكس ذلك علي أفكارهم وثقافتهم، وعلى المجتمع بصورة مباشرة.

وقبل الختام عن الحديث عن السراج أذكر مقطوعة من شعره في الألغاز، تدلل على سعة ثقافته، وعلى تميز العصر المملوكي ككل في الأدب العربي.

فقد كتب له النصير [2] له لغزاً، يقول: فيه

أيا مَن له ذهنٌ لدى الفكر لا يخبو ... ومن لم يزل يحنو ولم يزل يحبو
قصدتُ سراج الدين في ليل فكرة ... يكاد جوادُ العقل في سيلها يكبو
ليرشد في شيئاً به يدرك المنى ... له قلب صبٍ كم فؤاد به صبُّ
إذا ركب البيداً يخشى ويُتّقى ... ولم يثنه طعن ولم يثنه ضربُ
بقلب يهد الصخر يوم لقائه ... ومن أعجب الأشياء ليس له قلب

---

١ اليونيني : ذيل مرآة الزمان، ٦٥/٤.

٢ نصير بن أحمد بن علي، المناوي الحمّامي، كان عامياً إلا في النظم، كان شاعراً وأديباً ومفكراً، من كبار المفكرين والأدباء والشعراء عصر سلاطين المماليك، وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل: ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٤م، ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥م، وقيل ٧١٢هـ/ ١٣١٣م. للمزيد الصفدي: أعيان العصر، ٥٠٣/٥.۞ رائد عبد الرحيم: الشاعر نصير الدين الحمامي، وما بقي من شعره، بحث بمجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، سنة ٢٠١٣م، المجلد ٢٧، صـ ٩٧٦.

فكتب الوراق الجواب:

أراك نصير الدين عذّبت خاطري وقد راق لي من لغزك المنهل العذبُ
وأثبتّ قلباً منه ثم نفيته وأعرفه صبّاً وهام له قلبُ
وأعرف منه أعيناً لا تخفّها جفون كعادات الجفون ولا هُدب
ومن وصفه صبٌّ كما أنت واصف صدقت ولولاه لما عرف الحب
فدونك ما ألغزته لي مُبيّنا وذلك ما يحتاجه العُجم والعُرب[1]

ولعله هنا يتحدث عن المطر أو الغيث وصبه، وتعلق الأفئدة به، وتشبيه الغيث والمطر بالقوة في الانهمار، التي لا تبقي على شيء أمامها.

وقد توفي السراج رحمه الله في سنة، ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م.

٣- البدر الهوريني:

حسين بن حسن بن يوسف ،بدر الدين الهوريني، الأزهري، القاهري الكتبي، الشافعيّ، ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م.

الأصل والنشأة :

نشأ صاحبنا في بلدة هورين، كانت إحدى أعمال الغربية قديما، وتتبع مركز السنطة، ثم انتقلت بعد ذلك لمركز بركة السبع بالمنوفية[2].

تعلم في كتاب قريته، القرآن والحساب وأصول القراءة والكتابة، ثم انتقل، من قريته صغيراً، إلى مصر المحروسة، لينهل من معين علمائها، ويروى ظمأه من حوانيت وراقيها، وأروقة مساجدها الجامعة، ومدارسها العامرة.

---

١ الصفدي: أعيان العصر، ٥/٥١١

٢ للمزيد عن هورين، راجع محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م، المجلد الثالث صـ١١

شيوخه :

تتلمذ صاحبنا على العديد من المشايخ والعلماء الأجلاء، الذين أثروا بلا شك على شخصيته، وثقافته، وهم كثر، أذكر من منهم:

البرهان البيجوري[١] وأستاذه في الحديث الجمال الحنبلي[٢] والشرف بن الكويك[٣] وغيرهم الكثير.

---

١ برهان الدين، إبراهيم بن أحمد بن علي البيجوري، الفقيه، الشافعي، ولد في حدود سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، وكان ديناً، خيراً، متواضعاً، شديد التواضع، زاهداً في الدنيا ومناصبها، وكان من أفقه علماء عصره، وكان مع قوته في العلم، والفقه، يتورع عن الفتوي، وقد توفاه الله رحمه الله عليه في سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢م. للمزيد، المقريزي: السلوك، ٧/٧١. ۞ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ٤/٧١.

٢ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام الجمال أبو محمد بن المحب بن الجمال أبي محمد القاهري الحنبلي ويعرف بابن هشام . ولد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهرة ومات أبوه وهو صغير فنشأ يتيما فحفظ القرآن، وتفقه ودرس الحديث، والفية بن مالك، وبرع في علم الحديث، حتي صار يشار إليه بالبنان، وأشتهر في الأفتاء، والتدريس، كما ولي منصب القضاء، وقد توفي رحمه الله في سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م . للمزيد السخاوي: الضوء اللامع، ٣/١٤٤.

٣ محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبي الفتح بن محمد بن القاسم الربعي التكريتي الإسكندري مسند القاهرة شرف الدين أبو الطاهر بن القاضي عز الدين أبي اليمن المعروف بابن الكويك، أحد كبار الحفاظ، وكبار أئمة الحديث في عصره، وهو شيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني، ولد سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م، وكان من بيت جاه وعز، وتعلم على يد كبار المشايخ في عصره كالقاضي عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وقال عنه ابن حجر: " وتفرد في آخر عمره بأكثر مشايخه، وتكاثر عليه الطلبة ولازموه، وحبب التحديث ولازمه، قرأت عليه كثيراً من المرويات بالإجازة والسماع، من ذلك صحيح مسلم في أربعة مجالس سوى مجلس الختم، ولم يزل على حاله متقطعاً في منزله ملازماً للأسماع إلى أن مات في أواخر ذي القعدة من هذه السنة وقد أكمل أربعاً وثمانين سنة، ولم يبق بعده بالقاهرة من يروي عن أحد من مشايخه لا بالسماع ولا بالإجازة بل ولا في الدنيا من يروي عمن سميت من مشايخه المذكورين رحمه الله تعالى" وقد توفاه الله تعالى في سنة ٨٢١هـ/=

وقد تأثر صاحبنا، بفكر هؤلاء الأعلام الأفذاذ، كما أن عمله بالوراقة، ونسخ الكتب وبيعها، أكسبه العديد من الثقافات، والمعارف.

فقد ذكر السخاوي:

أنه كان يجلس بسوق الكتب، فكان رأس الجماعة، (أي أنه أستاذ الكتبيين والوراقين)، وهو أحسن من رأيته من تلك الطائفة، كان متواضعاً، بشوشاً، عالماً، وقد توفاه الله في سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م. [١] .

=١٤١٨م. للمزيد يرجى مطالعة: تقي الدين الفاسي: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، ٢٣٢/١. ابن حجر:، إنباء الغمر بأبناء العمر، لمحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م ،جـ١٨٧/٣.

١ للمزيد يرجي مطالعة، السخاوي: الضوء اللامع، ١٤٤/٣.۞ التبر المسبوك في ذيل السلوك، مراجعة، د/ السعيد عاشور، تحيق، لبيبة إبراهيم مصطفي، نجوى مصطفي كامل، ط، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. جـ١/ ٤٧.

الخاتمة

بعد هذا العرض السابق عن الوراقة، يطيب لي أن أقول : إن مهنة الوراقة واحدة من المهن ذات الأثر البارز في تاريخ الفكر والحضارة في دولة المماليك بنوعيها، البحرية والبرجية، وأن الوراقين كانوا بمثابة حملة مشعل الفكر، والتمدين طوال سني حكم المماليك، كما أن حوانيت الوراقين، وأسواق الوراقة، كانت بمثابة منتديات فكرية وثقافية وعلمية، يتم فيها ومن خلالها تبادل الأفكار، والمعتقدات، ومناقشة القضايا المتنوعة والمتباينة، ما بين قضايا في العقيدة والفلسفة الإسلامية، والأخلاق، واللغة والأدب، والتاريخ وشتى الثقافات والعلوم والفنون.

ولا يغيب عنك أيها القارئ الكريم أن أحوال الدولة كان لها الأثر البالغ في التأثير على حركة الوراقة، وأنا هنا اقصد الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدولة سلاطين المماليك.

فقوة دولة المماليك وتماسكها، وتعدد موارد الدخل بها، ما بين موانئ ومرافئ بحرية ونهرية، وعلاقات تجارية ممتدة في قلب إفريقيا وآسيا، ومتصلة وممتدة مع الهند وأروبا، وانتشار التجار، وانتعاش حركة التجارة الداخلية والخارجية، وانتشار الوكائل والخانات، ووقوع مصر في موقع فريد مميز، جعلها محط أنظار التجار والرحالة.

ومما لا شك فيه أن التجارة مع مصر وغيرها من دول الجوار، وغيرها من الدول لم تكن مقتصرة، على تجارة المواد الغذائية أو البهار، أو تجارة الحرير والقماش والمعادن، وغيرها، بل تعداه كذلك إلى تجارة الكتب والورق، فكان التجار بمثابة دور نشر متنقلة، من مصر إلى الشام ومن الشام إلى مصر، ومن مصر إلى غيرها من الدول والعكس.

اضف لذلك طلاب الأزهر الذين ساهموا بشكل كبير في اثراء حركة الوراقة في الداخل والخارج.

وبجانب قوة مصر الاقتصادية، وعلاقاتها المتشعبة، كانت هناك القوة السياسية، الممثلة في تماسك الدولة، وترامي اطرافها، لا سيما في عصر دولة المماليك البحرية.

بجانب قوة هذا العصر فكريا وثقافيا، فهناك الأزهر، وهو الجامع والجامعة، والكعبة التي يفد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، ولذا نجد أن سوق الوراقة كانت قريبة من الجامع الأزهر.

وبجانب الأزهر هناك جامع عمرو، والجامع الطولوني، غيرهما من المساجد الجامعة في مصر وأقاليمها.

وبخارج مصر هناك الجامع الأموي بدمشق، والزيتونة، وجامع قرطبة، وغيرها من المساجد والمعاهد العلمية الكبرى التي أثرت بشكل كبير علي حركة الوراقة في عصر سلاطين المماليك.

ولأن الناس على دين ملوكهم، وبما أن المماليك برغم اختلاف لغتهم عن لغة أهل مصر، إلا أن حبهم للغة القرآن وشغفهم بالعلوم الإسلامية والعربية، وتشجيعهم علي العلوم والفنون، الأمر الذى بدا واضحاً جلياً، في منشآتهم العديدة، ساهم بالنصيب الأوفر في تشجيع حركة الوراقة.

وبناء على ما تقدم يمكن القول : إن حركة الوراقة وحرفة الوراقين كانت من المهن الرائجة في عصر سلاطين المماليك، وبرغم ماقاله السراج الوراق عن الذم في مهنة الوراقين وتابعه بعض المراجع الحديثة، غير إني لا أميل كثيراً لهذا الرأي، فالذي أبرزه هذا البحث، والذى اخبرتنا به المصادر، أن مهنة الوراقة ، برغم قسوتها لانها تعتمد في الأساس على اليد، وكثرة النسخ، وتوافر مهارة الكتابة وحسن الخط، مع مراعاة قواعد الإملاء، والعربية، غير أنها كانت من المهن التي تدر علي أصحابها الربح الوافر.

كما ارتبطت العديد من الحرف بمهنة الوراقة، حتي صار مصطلح الوراقة مصطلحا ومدلولاً، على العديد من المهن، مثل الكتابة، والنسخ، والتزويق،

والبيع، والشراء، والدلالة، والشهادة، كما ارتبط بها كذلك مهن أخرى، كشيخ السوق والمحتسب وشاهد العدل.

وأخيراً فإن الوراق لم يكن مجرد كاتباً، أو بائعاً أو دلالاً، بل برز العديد منهم في العديد من الحرف والفنون كالشعر والخط، والأدب واللغة وغيرها من العلوم والفنون.

ويمكن القول في ختام البحث، أن مهنة الوراقة وحرفة الوراقين من المهن التي ساهمت في تطور حركة الفكر والحضارة، وأن العصر المملوكي كما كان العصر الذهبي للعمارة والفنون والحضارة، كان العصر الذهبي للوراقة والوراقين.

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا المصادر:

١- (الأسنوي) عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين ت (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) : طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م.

٢- (ابن أبي أصيبعة):أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (المتوفى: ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المحقق: الدكتور نزار رضا،الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت.

٣- (ابن ايبك). أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م): كنز الدرر وجامع الغرر، مجموعة من المحققين، الناشر: عيسى البابي الحلبي. القاهرة، ١٩٨٢م.

٤- (بامخرمة الهجراني)، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٩٤٧ هـ / ١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق:بو جمعة مكري / خالد زواري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨.

٥- (البدر العيني) ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ/١٤٥١م): مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٦- (ابن بطوطه)، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) : تحفة النظار في غرائب

الامصار وعجائب الأسفار، أو رحلة ابن بطوطه، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر: ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

٧- (ابو بكر كافي):منهج الإمام البخاري، في تصحيح الأحاديث، دار ابن حزم بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٠ م

٨- (البلاذري)، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ): جُمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٩- (البلوي)، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ/١٣٦٦م) :تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (تاريخ البلوي)،تحقيق الحسن بن محمد السائح،طبعة اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين دولتي المغرب والإمارات

١٠- (بهاء الدين البغدادي). محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى:٥٦٢هـ/١١٦٧م) : التذكرة الحمدونية ، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

١١- (ابن تغري بردي)، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٢- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق/ دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣- (ابن الأثير)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

١٤- (الجاحظ) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ): التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، المحقق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة/ مصر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

١٥- (الثعالبي)، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف القاهرة

١٦- (الجبرتي)، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الناشر: دار الجيل بيروت.

١٧- (ابن جبير) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ط١

١٨- (ابن الجوزي) ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

١٩- (سبط ابن الجوزي)، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

٢٠- (ابن حجر) : ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، راجعة: علي محمد البجاوي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق / محمد عبد المعيد خان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٢- إنباء الغمر بأبناء العمر، لمحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٢٣- لسان الميزان، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

٢٤- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق/ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، طـ١ ، الناشر : مطبعة سفير بالرياض عام (١٤٢٢هـ)

٢٥- (ابن حجي) : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي (٧٥١ هـ - ٨١٦ هـ) :تاريخ ابن حجي، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٦- (الحلبي) صفي الدين الحلبي ، أبو الفتح عيسى بن البحتري الحلبي (المتوفى: بعد ٦٢٥هـ): أنس المسجون وراحة المحزون، المحقق: محمد أديب الجادر، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م

٢٧- (الخطيب البغدادي) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

٢٨- (ابن خلدون)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ بن خلدون)

المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٩- (ابن خلكان)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، إحسان عباس، دار صادر بيروت

٣٠- (خليفة بن خياط)، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية

٣١- (ابن دقماق): صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري الملقب بابن دُقْماق (المتوفى: ٨٠٩ هـ) : نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، دراسة وتحقيق: الدكتور سمير طبارة، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٢- (الدينوري) أبو حنيفة الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الناشر: دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ م.

٣٣- (الذهبي): شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى.

٣٤- سير أعلام النبلاء، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

٣٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م

٣٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.

٣٧- (الرازي) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣٨- (فخر الرازي): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٣٩- (بن زبر الربعي): أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (المتوفى: ٣٧٩هـ): تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠

٤٠- (الزبيدي) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة دار الهداية، ٥٣٣/٧، مادة جود. إبراهيم مصطفى ـ وآخرون،: المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة،

٤١- (السبكي) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ): التبر المسبوك في ذيل السلوك، مراجعة، د/ السعيد عاشور، تحيق، لبيبة إبراهيم مصطفي، نجوى مصطفي كامل، ط، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٢- طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ

٤٣- معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

٤٤- (السخاوي): : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٤٥- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة.

٤٦- (السمعاني) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ/١١٦٧م): الأنساب، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

٤٧- (ابن سيده) ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] : المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٤٨- المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤٩- (الشارعي): موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (المتوفى: ٦١٥هـ): مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٠- (ابن شاكر) : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ) : فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٤م.

٥١- (ابن شاهين) : زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (المتوفى: ٩٢٠هـ): نيل الأمل في ذيل الدول، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

٥٢- (الصحاري) سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبد الكريم خليفة – د. نصرت عبد الرحمن – د. صلاح جرار – د. محمد حسن عواد – د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٥٣- (الصالحي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٧٤٤ هـ): طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

٥٤- (الصفدي) الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (المتوفى: بعد ٧١٧ هـ): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك «يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء حتى سنة ٧١٧ هـ»، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٥٥- (الصفدي) ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥٦- أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، وآخرون الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

٥٧- (الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ.

٥٨- (ابن عابدين الحنفي) ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) : رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥٩- (ابن عبد الظاهر) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي، محيي الدين، أبو الفضل ابن رشيد الدين ت (٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، الروضة البهية في خطط القاهر المعزية، تحقيق أيمن فؤاد السيد، الدار العربية للكتاب، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٦٠- (ابن عبد ربه) أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)،: العقد الفريد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦١- (ابن العبري): يوحنا بن هارون بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري (المتوفى: ٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، المحقق: أنطون صالحاني اليسوعي، الناشر: دار الشرق، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٢ م

٦٢- (ابن العديم) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر.

٦٣- (ابن عساكر) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥.
٦٤- (ابن العماد الحنبلي) : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ،الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٦٥- (الفارابي): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
٦٦- (الفاروقي)، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج وآخرون، ترجمة، د. عبد الله الخالدي و د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م
٦٧- (الفاسي)، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ) : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق / كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى.
٦٨- (أبو الفداء)، بو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، ط١.

٦٩- (الفراهيدي)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) :، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٧٠- (ابن فضل الله العمري)، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٧١- (الفيروزابادي) : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق/ محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م،

٧٢- (ابن فهد الهاشمي): ، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثم المكيّ الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ): لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٧٣- (ابن قاضي شهبة)، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ): طبقات الشافعية، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ

٧٤- (القزويني) زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ) : أثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر بيروت

٧٥- (القلقشندي) ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٧٦- (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٧٧- البداية والنهاية ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

٧٨- (الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة

٧٩- (مبارك) علي مبارك، علي بن مبارك بن سليمان الروجي (١٣١١هـ/١٨٩٣م): الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، المطابع الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى، ١٣٠٦هـ

٨٠- (ابن مذحج)). محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ): طبقات النحويين واللغويين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف

٨١- (المعري) أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ): تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٨٢- (ابن مسكويه)، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) : تجارب الأمم وتعاقب الهمم، المحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م

٨٣- (المقدسي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر،- مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١،جـ١/١٩٩. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد

البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، الناشر: دار الغرب الإسلامي عام النشر: ١٩٩٢م.

٨٤- (مجير الدين المقدسي)، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ): التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، مجموعة من المحققين، دار النواد سوريا، لطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١م.

٨٥- (ابن منظور) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ،

٨٦- (المقريزي) : اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مجموعة من المحققين، لناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى

٨٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٨٨- المقفي الكبير، تحقيق أحمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦

٨٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

٩٠- (ابن الملقن): نزهة النظار، في قضاة الأمصار، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٩٩٦م.

٩١- (ابن واصل) محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جمال الشيال وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م

٩٢- (كمال الدين الأنباري) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ): نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٩٣- (ابن نجيم) ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ): البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية،

٩٤- (ابن النديم) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) : الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٩٥- (النويري)، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، لناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٩٦- (الهروي) : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م): ،تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ٩/٢٢١

٩٧- (بن الوزان) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط٢/ ١٩٨٣م

٩٨- (ياقوت الحموي): ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،(معجم الأدباء) ، تحقيق، حسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

٩٩- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

١٠٠- (اليعقوبي) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

١٠١- (اليافعي) أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

١٠٢- (اليونيني) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (المتوفى: ٧٢٦ هـ): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

المراجع:

١٠٣- (السيد): محمد كمال السيد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

١٠٤- (حافظ): عبد الله عطية حافظ، معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام، دار النيل ، القاهرة

١٠٥- (خير الله) خير الله سعيد : موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية، دار الانتشار، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٠٦- (رزق) عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م

١٠٧- (رضا) أحمد رضا : معجم متن اللغة، لناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

١٠٨- (رمزي): محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

١٠٩- (الزركلي)، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام.، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

١١٠- (الطوخي) طالع نبيل السيد الطوخي: طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م

١١١- (زكي): عبد الرحمن زكي: بناة القاهرة في ألف عام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

١١٢- (سامح) : كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩١م.

١١٣- (الششتاوي): محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م.

١١٤- (ضيف) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م

١١٥- (عزام) عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغوري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م

١١٦- (عطا) عثمان علي عطا: مجالس الشورى في عصر سلاطين المماليك، الدار الثقافية للنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

١١٧- (عمارة) محمد عمارة وآخرون: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م،

١١٨- (الغيطاني): جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م

١١٩- (قاسم) مرجع قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، دار الشرق، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٢٠- (مختار) أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٢١- (المرصفي): سيد بن علي المرصفي : رغبة الآمل من كتاب الكامل، مكتبة الأسدي بطهران، ١٩٧٠م

كتب أجنبية معربة.

١٢٢- (دي طراز) الفيكنت فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، الناشر: وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة – لبنان، سنة النشر: ١٩٤٧م.

١٢٣- (روزنتال): . فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريجه، مراجعة، وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت لبنان.

١٢٤- (رينهارت): رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ) : تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعريب محمد سليم النعيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.

رسائل علمية.

١٢٥- (سعيد) ميسر حميد سعيد: سراج الدين الوراق، حياته وشعره، جمع ودراسة، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

١٢٦- (الصعيدي):محمد سالم: الهجرات المشرقية إلى مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، بكلية اللغة العربية بالمنصورة ، ٢٠١٧م

١٢٧- الهجرات المشرقية إلى مصر وأثرها في الحياة الفنية إبان العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر، ٢٠١٨م.

دوريات:

١٢٨- (رجب): ياسر رجب، دلال الكتب ودوره في تكوين مجموعات المكتبات الخاصة، بحث منشور بالجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات، ٢٠٠٦م

١٢٩- (عبد الرحيم) رائد عبد الرحيم: الشاعر نصير الدين الحمامي، وما بقي من شعره، بحث بمجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، سنة ٢٠١٣م، المجلد ٢٧

١٣٠- (رشيد) ناظم رشيد، سعد بن علي الحظيري، الملقب بدلال الكتب، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٩م

١٣١- (العصفور) : سعود العصفور، تجارة الكارم في العصر المملوكي، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد الثلاثون، ابريل، ٢٠٠٧.

١٣٢- (علوان) : مجدي علوان واخرون، مبني السبع قاعات، دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الأداب جامعة أسيوط .

١٣٣- (العنكبي) : أنور جاسم العنكبي، الكارم وأثرهم في نشر الإسلام في إفريقيا في عصر المماليك، مجلة كلية التربية، بالجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٥م.